مصطفى عطية جمعة
أمطار رمادية

مسرحية

أمطار رمادية

د. مصطفى عطية جمعة

منشورات مركز الحضارة العربية – القاهرة
٢٠٠٧

الفصل الأول

المشهد الأول

(في قسم الشرطة ، حيث يجلس ضابط خلف مكتب ، وبجانبه صول يكتب في أحد السجلات ، فيما يقف شرطي بعيدًا ينظر للاشيء)

الضابط (متوجهًا إلى الموظف علي) : هاه ، ألن تعترف يا علي بما حدث ؟

علي : أعترف بماذا يا سعادة الباشا ؟

الضابط (بقرف) : غير معقول ، أعيد الاتهام في كل سؤال !

علي : أنا لست متهمًا بشيء يا باشا .

الضابط : وكلام الموظفة " منى " عنك .

علي : كذابة ... ، مليون كذابة .

الضابط : ألم تتحرش بها في غرفة مكتبها ؟

علي (**متهكمًا وهو يطالع منى**) : أتحرش بها ؟ بمنى ؟ عجيبة ! من شدة جمالها يا باشا ؟!

منى (تتدخل في الحوار بصراخ) : نعم يا سي علي ؟ حصل ، وسألبسك تهمة إن شاء الله ، يا قليل الأدب ، ياسافل ...

الضابط : احفظي لسانك ... ! أنت في قسم شرطة ، ولستِ في الشارع .

علي : أنت شاهد يا باشا على لسانها الطويل وسفالتها .

منى : فيه شهود عليه يا باشا ، الولد " زكي " الساعي رآنا ، وأنا أحضرته معي في الخارج . (ترفع صوتها) : يا زكي ، يا ولد زكي ، تعال إلى الباشا الضابط .

الضابط (ناظرًا للصول الذي يكتب المحضر) : يتم استدعاء الساعي زكي . (ثم ينظر إلى منى) يبدو أنكِ مستعدة بكل وسيلة .

علي (بتحفز) : مؤامرة منها يا باشا ، تريد أن تلبسني تهمة بأي طريقة.

(يدخل زكي ، شاب ضخم الجثة ، يبدو البله عليه ، ويرتدي ملابس قديمة تبدو أكبر من مقاسه ، يتنفس بصوت مرتفع كالشخير ، يبتسم بسذاجة وخوف للضابط)

الضابط : اسمك بالكامل ؟ وسنك ومهنتك ؟

زكي : زكي ... ، زكي عبد المتعال ... ، فرّاش .

الضابط : أنت رأيت الأستاذ " علي " يتحرش بالآنسة " منى " أمس في غرفتها بمركز بيت الثقافة ؟

زكي (دون فهم) : منى وعلي ، أمس ...

الضابط : هل كان " علي " يتحرش بها جنسيًا ؟

زكي (بغباء) : يضربها يا باشا يعني ؟

منى (متدخلة في الحوار بسرعة) : يا زكي يا حبيبي ، البارحة ، الساعة اثنتين بعد الظهر، أنت شفت " علي "كان يحاول ... (تشير إلى صدغها وتغمز له بعينها) .

زكي (ضاحكًا ببلاهة) : علي كان يبوسك يعني ؟

منى (بخجل متصنع) : نعم يا زكي ؟

زكي (متذكرًا) : البارحة حصل هذا ؟

منى (مشجعة له) : نعم ... نعم ... ، البارحة يا زكي ، قل للباشا الضابط .

زكي : صحيح ، أنا شفته كان يريد أنه يحضنك ويبوسك ، وقال لكِ إنك حلوة وبيضاء

علي : يا زكي يا بن الـ ... (يمسك لسانه عن السب متلجلجًا وهو ينظر للضابط) أنت شفتني وأنا أبوسها (يحرك إصبعه متوعدًا) .

زكي (خائفًا من عينيّ علي) : هي قالت لي هذا .

علي : الحق ظهر ، اسمع يا باشا ، يقول هي قالت لي .

الضابط : قالت لك ماذا يا زكي ؟

منى (بانفعال وبكاء) : والله العظيم ، هذا ما حدث يا باشا و... قل يا زكي الحقيقة.

زكي (ببلاهة) : نعم يا ست " منى " ، هذا حصل ، كان ... (يلعب بشفتيه علامة التقبيل ، وذراعيه علامة الاحتضان)

علي : مظلوم والله ...

الضابط : ليس أمامي إلا حجزك وغدًا تعرض على النيابة .

علي (صارخًا والدموع في عينيه) : النيابة ! ؟ يا خراب بيتي !

منى (منتشية بالنصر) : حتى تتأدب يا أستاذ علي ، أتظنني مثل بقية البنات ...

(صوت جلبة وضجيج في الخارج ، ثم يدخل مدير قصر الثقافة ، في أواخر الخمسينيات من العمر ، في وجهه تجاعيد خفيفة ، يرتدي قميصًا زاهي اللون ، شعره رمادي)

المدير : السلام عليكم ...

الجميع في أصوات متداخلة : وعليكم السلام ، أهلاً يا أستاذ فوزي .

فوزي (للضابط) : أنا فوزي أبوطالب ، مدير قصر الثقافة.

الضابط : أهلا فوزي بك .

فوزي (ناظرًا لمنى وعلي وزكي) : ما الحكاية ؟ عم محمود الحارس أخبرني أنكم في القسم ؟ خيرًا ...

علي (بسرعة ؛ منتهزًا الفرصة قبل منى) : ظلمتني منى ... ، تتبلّى عليّ، ستسجنني ، تقول إنني تحرّشت بها البارحة .

فوزي : غير معقول يا منى ! عليّ المحترم يفعل هذا ؟

منى : أنت رجل طيب يا أستاذ فوزي ، ولا تعلم أن " تحت الساهي دواهي " .

فوزي (متوجهًا للضابط) : عمومًا الموضوع بسيط ، وسيتم حله .

الضابط : فيه محضر ، وغدًا سيعرضون على النيابة .

فوزي (مستنكرًا بخطابية) : النيابة ؟! لا يا حضرة الضابط ، نحن في مصلحة حكومية محترمة ، نحن نصنع الثقافة والفكر والفن ...، ولابد أن نحافظ على سمعة قصر الثقافة والعاملين فيه ، ماذا يقول الناس عنا ؟

الضابط (مقاطعًا) : يوجد محضر ، وتهمة وشهود ..

فوزي : أين الشهود ؟

علي : الولد زكي الفراش .

فوزي : مَنْ ؟ زكي ابن أم زكي ؟ من أحضرك إلى هنا يا ولد ؟

منى : أنا يا أستاذ فوزي ، هو الذي شهد ما حدث ، فأحضرته معي .

علي : تخيل يا أستاذ ، هذا الأهبل يشهد علي ، وسيكون السبب في حبسي .

فوزي (بنبرة حاسمة) : هذا كلام فارغ ، لابد أن نحافظ على سمعة قصر الثقافة ، ماذا تقول بقية المصالح الحكومية عنّا ؟ وعن موظفينا ؟

الضابط (يفهم المراد) : الموضوع الآن متجه إلى النيابة ، ولابد من اتخاذ موقف واضح .

فوزي : كلامك صحيح يا حضرة الضابط ، وسأحل المشكلة بطريقتي الخاصة .

الضابط : وكيف ستحلها ؟

فوزي (مبتسمًا) : تسمح لي أن آخذهم إلى الخارج لنتفاهم .

الضابط (باسمًا) : أخشى أن يهرب المتهم علي .

فوزي : هذا على ضمانتي الشخصية ، اطمئن .

الضابط : زيادة في الاحتياط ، سأخرج أنا وأترك معكم العسكري في الغرفة .

(يتحرك الضابط إلى خارج الغرفة ، ويشير للعسكري أن يبقى، فيما يجلس زكي على الأرض ينظر ببلاهة ويغمض عينيه نائمًا من آن لآخر)

فوزي (متوجهًا لمنى وعلي وهو يضرب كفًا بكف) : والله عال ، آخر المطاف يدخل فوزي أبوطالب ابن عائلة أبوطالب الباشوات ، ومدير قصر

الثقافة ، يدخل أقسام الشرطة بسببكما ، والغريب أني تارك أمي تموت في البيت وجئت لكما ، هل يعجبكما ؟ أمي على فراش الموت وأنا في القسم في قضية تحرش جنسي ، من اثنين موظفين عندي ، يعني أنا مدير طرطور ، قاعد في خمارة أو بيت دعارة ..

منى (بخجل) : هو السبب يا أستاذ والله العظيم .

فوزي : كيف يا برنسيس ؟

منى : حاول يبوسني ويحضني .

فوزي (مخاطبًا عليًا) : صحيح يا علي يا عليوة .

علي : لا طبعًا ..

فوزي (محذرًا) : علي ، صحيح الكلام هذا .

علي (منكسًا رأسه) : الموضوع ليس بهذا الشكل .

فوزي : وما شكله الأصلي إذاً ؟

منى (بحدة) : كان عاوزني في سهرة حمراء ، وهو السمسار .

فوزي : آه ، اتضحت الأمور ، تساومها يا علي يا عليوة على سهرة ، من سهراتك .

منى : شغله الأصلي ، قواد .

علي : نعم يا أماه ، نسيت أمجادك في فرقة الفنون الشعبية ، كان رقصتك هي التي تجلب الجمهور ، للكراسي الفارغة .

منى : رقص محترم .

علي (يرقص في مكانه مقلدًا لها) : محترم جدًا ، جدًا .

فوزي : وطبعًا أنتِ يا ست منى عملتِ الفيلم هذا كله من أجل هذا السبب ؟

منى : لأنه زاد في الموضوع ولو تركته سيفضحني .

فوزي : ولماذا لم تعرضي الموضوع عليّ وأنا كنت منعته ؟ بدلاً من الفضائح . نسيتِ أنني عينتك موظفة في قصر الثقافة بعد أن طردتك فرقة الفنون الشعبية .

منى : لا ننسى أفضالك يا أستاذ فوزي أبدًا .

فوزي : انتهى الموضوع ، ننادي الضابط وتتنازلين عن البلاغ ، وحقك عندي محفوظ .

منى : أمرك ...

علي (مبتهجًا) : شكرًا يا كبيرنا .

فوزي : أنت تستأهل كسر رقبتك ...

زكي (مستيقظًا من نومه) : وأنا أروح لأمي ؟

فوزي : أنا لي كلام مع أمك .

ثم يردف بصوت حزين : سأرجع إلى أمي التي تحتضر ، يمكن ألحقها أو أدفنها ..

(إظلام)

المشهد الثاني

(ليلاً ، في منزل أم زكي ، صالة فسيحة ، ذات طلاء باهت ، وأثاث قديم ، ينبعث صوت أم كلثوم – خافتًا – بأغنية ألف ليلة وليلة من جهاز تسجيل ، يجلس الأستاذ فوزي على مقعد وثير ، يدخن الجوزة التي ينبعث منها دخان أزرق ، وبجواره زجاجة خمر ، تدخل– من أحد الغرف – أم زكي، امرأة تخطت الخمسين ، تضع مكياجًا بطريقة فاقعة ، تضحك بغنج، وتجلس بجوار فوزي)

فوزي (يغني بسطل بأغنية لأحمد عدوية) : " أم زكي ، زكي بيعيّط " .

أم زكي (ترد على غنائه بمقطع أغنية أخرى لأحمد عدوية) : " السح ادح امبو ، ادِ الواد لأبوه ، يعين الواد بيعيط ..." .

فوزي : الولد ابنك العبيط ، راح يشهد على الأستاذ " علي " في القسم ، البنت منى أعطته خمسة جنيهات ، ليشهد .

أم زكي : الفرحة ما تمت ، أخذت منه الخمسة مرة ثانية ، بعد الصلح .

فوزي : المشكلة في الموضوع كله هو ابنك ، أنا عينته في قصر الثقافة فراشًا بدلاً من السرقة والتلطم في الشوارع ، ولكنه حمار وأهبل ، يمشي وراء كلام النسوان والبنات في القصر .

أم زكي : يا رجل اعقل ، أنت قلت لي إنك عينته لأجل عيوني وعيونه .

فوزي (مستنكرًا) : صحيح لأجل عيونك الحولاء وعيونه المعمّصة .

أم زكي : أنت الليلة مزاجك مقلوب ، نسيت أنك كنت تتغزل فيّ طول الليل ، أيام زواجنا السعيد .

فوزي (مواصلاً تنفسه الدخان) : صحيح كنت أتغزل فيك في الظلمة ، وكان الطلاق فعلاً سعيدًا ..

أم زكي : طلاق أم زواج ؟

فوزي : الطلاق طبعًا ، الذي يعاشرك يبيع عياله ...

أم زكي (بغضب متصنع) : نعم ، يبيع عياله ؟! أنت كنت تريد قعدة حلوة ، ونسيت أن الزواج مسؤولية ومصاريف وحماية للزوجة وشرفها ...

فوزي (مقاطعًا) : مسؤولية ؟ صحيح ، وأنت أحسن امرأة تتحمل المسؤولية ، أما الشرف عندك ، نعم الشرف ... ، المشكلة كانت فيّ ، ولكن أسألك سؤالاً واحدًا : ابنك زكي ، من أين ورث كل هذا العبط ؟

أم زكي : من أبيه طبعًا .

فوزي : حلو ، ومن أبوه ؟

أم زكي : اسمه زكي عبد المتعال النحاس .

فوزي : هذا في شهادة الميلاد ، من أبوه الحقيقي ؟

أم زكي : أنت رجل ناقص ، تشك فيّ ؟ عبد المتعال كان زوجي قبلك .

فوزي (متذكرًا) : أي رقم ؟

أم زكي (مقهقهة) : لا أذكر ... ، كان رجلًا طيبًا .

فوزي : حسب معرفتي بعبد المتعال النحاس ، كان رجلاً أهبل فعلاً .

أم زكي (باستمتاع) : أحب الرجل الذي يأكل وينام ولا يسأل عن شيء آخر .

فوزي : ليلتك أنس . (يزفر دخان الجوزة ، ويردد مقاطع من أغنية أم كلثوم)

(طرقات على الباب ، تنهض أم زكي بتثاقل ، تفتح الباب ، يدخل الأستاذ " علي ")

أم زكي : أهلاً بالضبع .

علي : سبع أو ضبع ، لادخل للكِ .

فوزي : خيرًا يا علي يا عليوه .

علي : أشكر لمعاليك موقفك من مؤامرة البنت " منى " .

فوزي (متنهدًا) : اعمل المعروف وارمه البحر .

علي (فاهمًا المقصود) : لا طبعًا ، المعروف معي يبقى دينًا في رقبتي العمر كله .

فوزي : سنرى ، هات ما عندك من أخبار .

علي (ضاحكًا) : هل تذكر يا فوزي بك حسين عبد المولى ؟

فوزي : لا ، ما حكايته ؟

علي : جاءتني دعوة من حزب السلام والتنمية ...

فوزي (مقاطعًا) : لك أنت ؟ عجيبة ! أنت ممثل حزب الحكومة في القصر وفي قطاع الثقافة كله .

علي : الدعوة كانت أن أذهب للقاء أمين عام الحزب في المحافظة عندنا .

فوزي : وماذا بعد ؟

علي : رحت للحزب ، شقة في المساكن الشعبية الجديدة ، قعدت في الصالة ، وأخبرت السكرتيرة ، بعد فترة جاءني الفراش وقال لي : سيادة

الأمين العام في انتظارك ، دخلت ، لقيته حسين عبد المولى ، أخذني بالحضن ...

فوزي (متذكرًا) : حسين عبدالمولى الذي كان كومبارس في مسرحية " فندق خمس نجوم " .

أم زكي (متدخلة) : أعرفه ، أمه كانت تبيع أنابيب البوتاجاز في حارتنا .

فوزي (صارخًا) : وهل كان عند أبيك بوتاجاز ؟ كنتم تطبخون على كانون الحطب (**يصمت ، ثم يرفع صوته متسائلا** :) وهل كنتم تطبخون من أساسه ؟ كنتم عائشين على معونات أهل الخير من العائلات العريقة مثل عائلة " أبو طالب " ، عائلتي .

أم زكي (بسخرية) : عائلة كبيرة زمان ، أين هي الآن ؟ وأين الأطيان والقصور ؟

فوزي (بحدة) : الثورة هي السبب ، أخذت أرضنا وقصورنا ، وحوّلت قصر جدي مدرسة ، ولكن أنا موجود وأمي موجودة ، نسل العائلة باقي .

علي (مهللا) : تمام ... ، تمام ... ، نرجع للموضوع ، حسين عبد المولى كان الكومبارس في مسرحية فندق خمس نجوم ، وسعادتك أخرجت هذه المسرحية منذ خمس سنين ، وكان حسين يلعب دور عامل التشريفات ، (**مستأنفًا كلامه**) المهم ، أخبرني أنهم اختاروه وعينوه أمين عام حزب السلام والتنمية في المحافظة .

فوزي : ثم أما بعد ؟ ماذا حدث ؟

علي : دعاني إلى أن أجهّز مسرحية باسم الحزب ، وسيقوم الحزب بتمويلها بسخاء .

أم زكي : خذني معك يا سي علي في المسرحية الجديدة .

فوزي (مستنكرًا) : هل ستعودين للرقص وهز الوسط ؟ صحيح الوسط السائب لا يثبت .

علي (بحزم) : هذه مسرحية محترمة ، والحزب لا يريد أي ابتذال .

أم زكي : محترمة ؟ ! وهل يأتي من وراءك شيء محترم ؟ أنت قواد على الراقصات.

علي (رافعًا صوته) : وأنتِ ماذا كنتِ ؟ راقصة من الحجم الثقيل في الأفراح (**يشير بيديه علامة السمنة ويرقص بجسمه**) ، بعد أن فشلتِ في فرقة الفن الشعبي في الثقافة الجماهيرية ، وفصلوكِ من الفرقة .

أم زكي : فصلوني لأني رفضت الرقص في حفلات الحزب ، وكان الأمن يريدني في ليالي..... (تغمز بعينها) .

فوزي (متوجهًا لعلي وهو يعيد بعض كلماته مع أم زكي) : الحزب لا يريد أي ابتذال . هل أصبحت عضوًا في الحزب ؟

علي : نعم ، نعم ، ملأت استمارة عضوية أمس ، وسأتولى مسؤولية اللجنة الفنية ، وسأضع خطة طموحة لنهضة فنية في الحزب .

فوزي : بهذه السرعة يا علي .

علي : طبعًا ، أنا مع المسرح الجاد يا سعادة الباشا .

فوزي : المسرح الجاد ! وما موضوع المسرحية التي ستعدها للحزب ؟

علي : نبحث عن مؤلف بنص جيد .

فوزي (بتأنٍ) : هل الحزب يريد مسرحية سياسية أم اجتماعية أم ...؟

علي : أي شيء ، المهم أن يكون مسرحًا جادًا ، حتى يكسب تواجدًا بين الجماهير ، الحزب يريد كسب النخبة المثقفة في البلد . ما رأيك يا أستاذ فوزي في الموضوع ؟

فوزي (بتعالٍ مصطنع) : سأفكر ، وأشوف مواعيدي ومشاغلي .

علي (بنفاق) : ستكون المسرحية رائعة من روائعك الخالدة ، وأجر المخرج في هه المسرحية عشرة آلاف جنيه ، وممكن أن يزيد حسب الخبرة والأعمال السابقة ، وطبعًا سعادتك لك تاريخ طويل في الإخراج المسرحي .

فوزي (ينفث الدخان من الجوزة) : والله يا علي أنا مللت من مسرحيات الثقافة الجماهيرية ، تعب وصداع وأجر ضعيف ، ولكن أنت تعرف أن مشاغلي في القصر كثيرة والواحد منا لابد أن يحسبها جيدًا .

علي : يا باشا ، الحزب طلب سعادتك بالاسم ، وأنا معك في المسرحية في كل شيء ، سأبحث عن مؤلف ، وأتصل بالريجسير ، وأحضر الممثلين ، وبالمناسبة هم يريدون ممثلة مشهورة من القاهرة حتى تكون البداية قوية .

فوزي : وهل تقبل ممثلة مشهورة من إياهن أن تحضر لبلدنا ، وتمثل في مسرحية كل ليلة؟

علي : سنبحث ، وسأطلعك على كل خطوة أفعلها .

فوزي (يدندن أنغامًا خفيفة) : ابحث للبنت منى عن دور في المسرحية ، يعني : عربون مصالحة .

علي : منى مرة ثانية ! هذه بنت مشاكل .

فوزي : وأم زكي أيضًا .

أم زكي (تضربه بكوعها في جنبه) : مشكور يا سعادة المخرج .

فوزي : وأيضًا زكي ، يأتي ليحضر القهوة لي .

علي (بقرف) : كل هؤلاء ؟ كل الحبايب في المسرحية .

فوزي (متجاهلاً) : وسلامتها أم حسن قصدي أم زكي .

(يرتفع صوت مقطع موسيقى خفيف من أغنية أحمد عدوية :"
سلامتها أم حسن ، من العين ومن الحسد ...)
(إظلام)

المشهد الثالث

(ليلاً ، في مخزن أحد المحلات التجارية ، المخزن فسيح ، به بعض الأخشاب والكراتين التي تنبئ أنه مخزن لمحل لوازم الديكور والبناء ، عدة مقاعد من كراسي المقهى ، الجوزة، وزجاجتا خمر وأطباق المزة ، والموسيقى لأم كلثوم من أغنية فكروني ، المخزن يمتلكه شقيق علي ، يجلس فوزي وعلي)

علي : القعدة منورّة يا فوزي باشا .

فوزي (بلا مبالاة) : طبعًا ، حضوري شرف لك .

علي (ضاحكًا) : شرف للحي كله ، ولكل سكانه .

فوزي : حي الشحاذين والزبالين .

علي (يبتلع الإهانة بابتسامة مصطنعة ويرد بحدة بسيطة) : عصر الأمراء والباشوات انتهي ، وصار أبناء الشعب متساوين .

فوزي : هذه أوهامك يا مخبول ؟ مسكين ، أنت جاهل بأصول العائلات .

علي (بشماتة) : هل نسيت أنك كنت من جيل الثورة ؟ وأنك أخرجت مسرحيات أيام عبد الناصر ؟

فوزي : كنت وكفرت ... ، (يشرب كأسه دفعة واحدة) ما شفته ، جعلني أبيع كل شيء .

علي (مغيرًا الموضوع) : الجماعة في الحزب يتمنون رؤيتك يا فوزي باشا.

فوزي : لماذا ؟

علي : من أجل كتابة العقد والاتفاق معهم .

فوزي : أنا أفضّل أن يأتوا هم .

علي : كما تأمر ، نأتيك في المكتب في النهار ، ونوقّع العقود .

فوزي : في النهار في المكتب ، أو في الليل عند أم زكي ، أو هنا ، أنا لن أذهب لهم ، كما لا أريد مشاكل مع أمن الدولة .

علي (بغموض) : من ناحية الأمن ، لا تحمل هما ، أنا فهّمتهم الموضوع ، والحكومة تشجع الديمقراطية كما تعلم .

فوزي : طيب .

(ينشغل بالشراب ، والغناء بسطل ، فيم يرن جهاز المحمول في يد "

علي " رنتين فقط، ينظر علي في الرقم ، ويبتسم)

علي (محاولاً استئناف الحديث) : عندي خبر حلو لك ؟

فوزي : خيرًا يا عليوة .

علي : تخيّل من سيكتب المسرحية الجديدة ؟

فوزي : طبعًا ، أحد أسطوات الكتابة لمسرح الأقاليم .

علي (مقهقهًا) : المؤلف مفاجأة ...

فوزي : هأ هأ .. هأ هأ ..

علي : مُحَمَّد الزنكي .

فوزي : نعم يا حبيبي ! الزنكي .. !

علي : والمفاجأة الأهم أنه آت الآن .

فوزي : الآن ! مصادفات من القدر ، الزنكي في مخزن الزنك والبويات ولوازم حديد التسليح ...

علي : حلوة جدًا يا باشا ..

فوزي : الطيور على أشكالها تقع .

(طرقات على باب المخزن ، يتجه علي لفتح الباب ، يدخل رجل تجاوز الأربعين ، الشيب خفيف في شعره)

علي : أهلا يا زنكي ... الدنيا نوّرت .

الزنكي (يفرك كفيه سعيدًا عندما رأى زجاجات الخمر) : الدنيا تنوّر إذا كان فيها فوزي بك .

فوزي : أنا باشا ابن باشا ، يا جبس .

الزنكي : أنا زنكي لا جبس ... ، مقبولة منك يا مديرنا السابق واللاحق والمستقبل .

فوزي : طبعًا مديرك طول عمرك ، هل نسيت أنني الذي عينتك في الثقافة الجماهيرية عندما جئت لنا والقشف في رجليك من الغيطان .

الزنكي (متجرعًا كأسا) : لم أنسَ ...يا باشا .

علي : أفضالك يا باشا علينا كلنا ، لا ننكرها .

فوزي (معجبًا بنفاق علي) : شكرًا يا علي .

الزنكي (بقرف) : أغيب وأغيب عنكم ، وأعود وألقى الدنيا كما هي ، كل واحد في كرسيه ..

فوزي : أنا على قلبكم ، وسيجددون لي ، لن يجدوا أفضل مني .

الزنكي : ألم أقل إنك السابق واللاحق ... والمستقبل .

علي : ربنا يخليك لنا يا باشا .

الزنكي (مغمغمًا) : الحمد لله ، ليس لديك أولاد يرثوك .

فوزي (ببرود) : ماذا تقول يا مقشف ؟

الزنكي : أبدًا ، تخاريف الخمر .

فوزي : لا تنس أنني أجدد أجازتك كل سنة ، ولولانا كنت في الشارع الآن .

الزنكي (بعناد) : أنا موظف حكومي ، وظيفتي محمية بالقانون ، هل ستذلنا ؟ كل ما تشوفني تكرر نفس الإسطوانة ؟

علي (مهدئًا الجو المكهرب) : ما الموضوع يا جماعة ؟ صلوا على النبي ، نحن حبايب طول العمر . (يغمز الزنكي بعينه) اهدأ يا زنكي ، أنت جئت زيارة أم خناقة ؟

الزنكي (يهدأ قليلاً) : أنا آسف يا جماعة ، الشرب يفسد لساني .

فوزي (متلذذا بإغاظة الزنكي) : عُدْ إلى قواعدك سالمًا يا زنكي (يضحك) أحسن شيء يعجبني فيك أنك تفور بسرعة وتهدأ من أجل مصلحتك ، أنا عجنتك وخبزتك ورميتك للكلاب يا زنكي .

الزنكي (ثائرًا) : لا ، أنا لا أقبل ...

فوزي (ببروده) : هل ستخطب فينا يا إسمنت ؟

الزنكي (مواصلاً) : هذه إهانة ، أنا ماشي يا علي ، لن أكتب المسرحية .

فوزي (ضاحكًا) : ألم أقل إن المصلحة وراء حضورك ؟

(يقف الزنكي ، ويتظاهر بالمغادرة ، ولكن يوقفه علي)

علي : يا زنكي ، ألا تعرف فوزي باشا ؟ إنه يضحك معك ، يحاول أن يغيظك .

فوزي : اقعد يا زنكي .. ، اترك هذه الحركات ، أنت ممثل فاشل .

الزنكي (يجلس) : وكاتب مسرحي ناجح .

فوزي : صح ، قل لي أي مسرحية نجحت لك ؟

الزنكي : أنا كتبت مسرحيات للمسرح الكوميدي ومسرح السلام ... في العاصمة .

فوزي : ومسرح " هشك بشك " ...، وكانت المقاعد خاوية ..

الزنكي : أنا يا فوزي ... بك ؟ لقد رفعوا لافتة " كامل العدد " على مسرحياتي .

فوزي (متذكرًا) : صح ، كامل العدد ، قلت لي ذلك من قبل كثيرًا ، وقلت لي في المرة اليتيمة التي دعتنا فيها لشم البنزين معك ، وأكّلتنا سندويشات الفول المعمول بزيت العربات ...

الزنكي : أنا ... أنا ..

فوزي (مستكملاً) : قلت لي : إنك دفعت للفراشين فلوسا ، حتى يعلقوا هذه الورقة وجاءت الصحافة تصورها .

علي (يضحك) : ذاكرة حديد يا باشا .

الزنكي (معترفًا بخجل) : " الهمبكة " لزوم الشغل .

فوزي : وفي كل مرة ، كنت تعود لنا ، وتقطع أجازتك ، وتحمد ربنا على مرتب الوظيفة الحكومية التي عينتك فيها يا مقشّف .

الزنكي (يأكل بتلذذ المزة) : صحيح ... ، لا أحد يغلبك يا فوزي باشا .

علي : ولكن نعترف لك يا زنكي أنك نجحت في غزو مسارح القاهرة .

فوزي (مصدقًا) : نعم ، غزا مسارح القاهرة من أكبر أبوابها .

الزنكي (مسرورًا) : شكرًا ، هذه شهادة منكما أفخر بها ، ولا تنسيا أن اسمي إذا وضع على المسرحية سيكون له ثمن . لقد كان اسمي يلمع فوق مسرح السلام بشارع القصر العيني ، والمسرح الكوميدي و ...

فوزي (كالملسوع) : نعم يا سي زنكي ، هذا كلام تخدع به المسرحيين الصغار هنا ، وتصوّر لهم أنك مشهور . اضحك على كل الناس ، ولكن لا تضحك عليّ ، أنا أعرف أنك تخدع المخرجين في مسرح الأقاليم بأنك كاتب مشهور ، ولك علاقاتك في القاهرة ، يا بني وأنا قاعد هنا ، أعرف دبيب النمل في كل مسارح مصر .

الزنكي : عدنا للغلط مرة ثانية .

فوزي (باسمًا) : أنا لا أحب الخداع يا زنكي ، أنسيت أنك عملت خدّامًا عند المخرج السيد رائف ...

الزنكي : أنا ...

علي (مشعلاً الجو) : هذا كلام خطير .

فوزي : نعم أنت يا زنكي ، والسيد رائف نفسه قال لي هذا الكلام ، عندما قابلته في مهرجان مسرح الأقاليم ، وكان في لجنة التحكيم .

الزنكي (مردّدًا) : أنا خدام ! أنا خدام يا فوزي ... بك ... باشا ؟!

فوزي : نعم خدام .

علي (متهللاً) : زنكي ، ثبتت الرؤية ، وكنت تريد الاتفاق معي على عشرة آلاف جنيه لكتابة النص ..

فوزي (صارخًا) : نفس أجري ! رأسك برأسي ! زنكي يساوي فوزي أبوطالب ! الجبس يساوي الماس !

الزنكي (متوجهًا لعلي) : هذه مؤامرة ضدي من أجل تقليل أجري .

فوزي (بخبث) : علي يا عليوة ، أنت أخذت المسرحية هذه مقاولة كالمعتاد ؟

علي (متلجلجًا) : أبدا ، أبدا ، أنا سفير خير ..

فوزي : سفير خير ! لعبتك القديمة يا حبيبي . علي : ما الموضوع ؟

علي : ليس هناك موضوع .

فوزي (بحزم) : أنا أشم رائحة عفنة ، أنا منسحب .

علي (برجاء) : أنت زعلت يا باشا ؟ لا والله لا تزعل ، الموضوع ببساطة ...

فوزي (مستحثًا له) : نعم ، نعم ، الموضوع ببساطة ، ماذا ؟

علي : الحزب رصد خمسين ألف جنيه ..

فوزي (مقاطعًا) : فقط ؟ أنا منسحب .

علي : هذا ما عندي .

فوزي : أنا منسحب يا علي ، لأنك كذاب ، أريد أن أعرف الحقيقة كاملة ، أنا لا أحب الضرب تحت الحزام .

علي (مترددا) : مئة ألف جنيه .

فوزي : آه ... مئة ألف جنيه ! كذاب يا علي يا عليوة .

علي : والله العظيم هذه هي الميزانية المرصودة .

فوزي (متفكرًا) : ألا ترى أنها كبيرة على حزب صغير مثل حزب السلام والتنمية .

علي : كل ما أعرفه أنهم حصلوا على دعم من إحدى الجهات .

الزنكي (يخرج من صمته) : إحدى الجهات الخارجية ؟

علي : غبي يا زنكي ، من إحدى الجهات الداخلية .

فوزي : مثل ماذا ؟

علي : لا أعرف جهة بعينها . ولكن كل ما فهمته من حسين عبد المولى أن الدولة تريد تنشيط الأحزاب في مواجهة الجماعات المتطرفة ، ورأوا أن أفضل شيء ترك الأحزاب تنشر رسالة التنوير بين الناس .

الزنكي : ما معنى تنوير ؟

فوزي : انظر يا علي ، لا يعرف معنى التنوير ، ويقول إنه كاتب مشهور .

علي : يا غبي ، التنوير هو الحداثة في مواجهة التأخر ، يعني التقدم في مواجهة الرجعية .

الزنكي (دون فهم) : نعم ، نعم ... ، سننير الناس ...

فوزي (مقاطعًا) : أحسنت يا زنكي ، طبعًا ستنير الناس بالكهرباء و....بالمياه ، والله أسطى كبير في الكتابة .

الزنكي : ارحمني من كلامك يا باشا .

فوزي : هذا أول الغيث على دماغك ، أنسيت أنك ستشتغل معي ؟

الزنكي : لن أستمر بهذا الشكل .

فوزي : ستستمر ، أنا أعرفك أكثر من نفسك .

علي (كأنه يسمع كلمات يحفظها) : هدف الحزب يا جماعة مواجهة الإرهاب ، وهدف المسرحية نشر قيم التسامح وتقديم مصر العظيمة بمبادئها .

فوزي : حلو ... ، ألّف يا أسطى زنكي .

الزنكي (متفكرًا) : الموضوع عميق ، ويحتاج لتأمل ، أعطوني مهلة أيام حتى أخرج بفكرة المسرحية .

فوزي (ضاحكًا) : خذ مهلة ، وسنصبر ، اذهب إلى شاطئ البحر ، وخذ ورقك معك حتى يطير مع الهواء العليل ، حتى تكون مؤلفًا بجد .

الزنكي (متجاهلاً) : الموضوع فعلاً عميق ... ، وسأفكر .

فوزي : أخشى أن تكون مسروقة ...

علي : لا ، سرقة ماذا ؟ المطلوب نص قوي ، يضرب في العالي ، ولا تنسوا أننا سنأتي بممثلة من القاهرة توقف المسرحية على رجليها .

الزنكي (يحتسي كأسا) : سأفكر وأكتب ...

فوزي (متذكرًا) : يا خراب بيتي ، نسيت أمي ، أروح البيت الآن ، أعطيها الدواء، ربنا يحفظها لي ...آمين .

(يغادر فوزي وهو يغني : زوروني كل سنة مرة حرام ، تنسوني بالمرّة ...تتجاوب الموسيقى معه بشجن بنفس اللحن)

(إظلام)

المشهد الرابع

(في مكتب فوزي أبو طالب في قصر الثقافة ، غرفة واسعة ، بها مقاعد جلدية وثيرة ، يبدو القِدَم عليها ، يجلس فوزي وراء مكتب مزدحم بالأوراق ، وتتناثر على الحوائط صور أدباء وموسيقيين وممثلين مشاهير ، كذلك بعض اللوحات الفنية التي علاها غبار خفيف ، وفي أحد الأركان جهاز تسجيل عتيق ...)

فوزي (ينادي من خلف أوراقه) : ولد يا زكي ، زكي .

(يدخل زكي ، حاملاً مقشة)

زكي : تحت أمرك يا باشا .

فوزي (ناظرًا إليه من تحت عويناته) : معفن ، كيف تدخل على مدير قصر الثقافة وأنت حامل مقشة ؟ !

زكي (بعبط) : كنت أكنس أمام الغرفة ، أصل المكان وسخ .

فوزي : أنت الوسخ ... مثل أمك . (يكمل) أحضر لي فنجان قهوة ، واطلب من الولد حسني في البوفيه أن يعملها بنفسه ، رُحْ بسرعة .

زكي (متحركًا) : بسرعة يا باشا .

(يدخل علي ، وفي يده ملف بلاستيكي به أوراق)

علي : صباح الخير يا باشا .

فوزي : أهلا يا عليوه ، هات ما عندك .

علي (يخرج ورقة من الملف) : وصلت نشرة عن مهرجان جديد .

فوزي (بلا مبالاة) : مهرجان جديد ! كل شهر لهم مهرجان جديد ، مرة في المسرح ، ومرة في الشعر ، ومرة في الرقص ، يظهر أن قيادات وزارة الثقافة متفرغون للمهرجانات

علي : المهرجان الجديد مسرحي .

فوزي : تقصد مهرجان لمسرح الأقاليم ؟

علي : أبدًا ، مهرجان مسرح الأقاليم أمامه خمسة أشهر .

فوزي : قل الخلاصة ، ما الموضوع ؟

علي : مهرجان " التنوير ضد الظلامية " .

فوزي : " التنوير ضد الظلامية " ، ما معناه ؟

علي (ببساطة): الفن ضد الجماعات الأصولية .

فوزي : غريبة !

علي : وما الغريب يا باشا ؟

فوزي : حزب السلام والتنمية ينتج مسرحية عن التنوير ، والوزارة تنظّم مهرجانًا عن التنوير ، ما الموضوع ؟

علي : ليست غريبة عن وزارة الثقافة ، أنت تعلم أنها تساير الأحداث ، وعمومًا المهرجان مفتوح لكل الجمعيات والفرق الخاصة .

فوزي : وطبعًا للفرق التي تتبع الأحزاب السياسية .

علي : طبعًا .

فوزي : الكل يريد أن يأكل من وراء موضوع التنوير ، والموظفون في الوزارة في القاهرة قاعدون لتنظيم المهرجانات . فعلاً تجارة ، وكل واحد يتاجر بطريقته في البلد .

علي : هذا كلام كبير يا باشا ، ونحن هنا لا نتحمله .

فوزي (بخبث) : انقله للأمن يا علي ، أنا لا أخاف .

علي : حاشا لله يا باشا ، أنت كبيرنا ، وكل واحد له رأيه ، ديمقراطية .

فوزي (أمسك النشرة وكتب وهو يقول بصوت عال) : تحال إلى رئيس شعبة المسرح بالقصر .

علي : فقط يا باشا ؟

فوزي (متطلعًا له) : نعم . ماذا تريد ؟

علي : أبدًا ، نستفيد منها في مسرحية الحزب ، نشترك ونكسب جوائز فيها .

فوزي : فكرة .

علي : وأنت لك علاقاتك مع لجان التحكيم ، وسيكرمونك بالطبع .

فوزي : نفكر في الموضوع .

(يدخل زكي ، حاملاً القهوة ، يضعها أمام فوزي)

فوزي : شكرًا يا زكي يا ابن أم زكي .

زكي : فيه واحد أمام باب سعادتك اسمه حسين ..

علي (مقاطعًا) : هذا حسين عبد المولى ، (يصرخ) ادخل يا حسين .

(يدخل حسين عبد المولى ، شاب شديد السمرة ، ضعيف الجسم ، تبدو عليه الخفة ، من خلال حركاته الزائدة)

حسين : صباح الخير .

علي : صباح النور ، أهلاً يا حسين .

حسين : كيف حالك يا فوزي باشا ؟

فوزي (بابتسامة رسمية) : تمام ، أهلاً وسهلاً .

علي : جئت في ميعادك .

حسين : أنا جهّزت عقود المسرحية يا باشا .

فوزي (بإيجاز) : كم أجري ؟

حسين : كما اتفق معنا الأستاذ علي ، عشرة آلاف جنيه .

فوزي : هذا قبل خمس دقائق .

حسين : لا أفهم .

فوزي (بطريقة رسمية) : سنشارك في مهرجان جديد اسمه التنوير ضد الظلامية ، وسنحقق مركزًا فيه بعلاقاتي ، وهذا المركز معناه جوائز ومال وشهرة للحزب ، ولا تنس أنني مخرج على أعلى مستوى .

حسين (بتفكر) : جميل ، لو تضمن لنا هذا ، ستكون ضربة كبيرة لفرع حزبنا في المحافظة .

فوزي (بثقة وبعض الغرور) : أضمن لك ، أنت لا تعرف علاقاتي وحجم اسمي بين النقاد والمحكمين .

حسين : تحت أمرك في أي طلب ؟

فوزي : عشرون ألف جنيه .

حسين (مستغربًا) : كثير ... كثير جدًا .

فوزي : فكّر أنت ومن معك في الحزب ، وردْ عليّ وبسرعة ، أنا عندي مشاغل كثيرة .

حسين (يقول بحزم) : فكرنا وتشاورنا ، أنا موافق الآن ، ورئيس الحزب أعطاني تفويضا في التصرف من أجل الصالح العام للحزب .

فوزي (متهللاً) : أنا أحب حسم الأمور بسرعة .

حسين : تحت أمرك يا باشا .

علي : إذن صحّح العقد يا حسين . (يعطيه قلمًا ومزيلا أبيض من فوق المكتب)

(ينشغل حسين بالتصحيح ، ثم يعطي العقد لفوزي ، يمسك فوزي العقد ، ويقرأه بسرعة ثم يمسك القلم ويوقّع على نسختين ، ويعيدهما له ، يأخذ حسين النسختين ، ثم يقدم نسخة منهما إلى فوزي باشا)

حسين (مبتسمًا بثقة) : مبارك عليك يا فوزي باشا . **(و بنبرة فيها تعال وسلطة)** سنكون سعداء بالعمل معك ، اسمح لي ، فعندي مواعيد كثيرة ، في أمانة الحزب وفي المكتب السياسي . (**يستدير منصرفًا**)

فوزي (منقلبًا من الجد إلى الهزر متغيرة سحنته) : والله الدنيا فيها عجائب ، نرى الكومبارس نجومًا والنجوم كومبارس .

حسين (يستدير بغضب) : تقصدني يا فوزي باشا .

فوزي (بكياسة) : أنا أقول كلامًا عامًا ... يا حسين .

حسين : لا بل تقصدني .

فوزي (باستفزاز) : قلت لك لا أقصدك .

حسين (بتكبر) : بل تقصدني .

فوزي (بعناد) : نعم ، أقصدك .

حسين : أنا لا أقبل ...

فوزي : عادي ، تقبل أو لا تقبل هذا شأنك .

حسين : لا أقبل .. وسأقوم بـ...

فوزي (مقاطعًا بتحدٍ) : ماذا ؟ ستقوم بماذا ؟ بإلغاء العقد ؟

حسين (مترددًا) : لا ... ، لا أقصد يا فوزي باشا .

علي (متدخلاً) : صلوا على النبي يا جماعة .

(ينتحي بحسين جانبًا)

علي : يا عم حسين ، لمّ الموضوع ، أنت تعرف الباشا ، يحب الضحك .

حسين : إنه يسخر مني .

علي : لا يهمك ، يسخر منّا كلنا . هذه عادته ، وأنت كنت كومبارس ، الرجل لم يكذب ، لا داعي لإشعال المسائل .

حسين (بنبرة تعال) : سأنهي الموضوع .

حسين (متوجهًا لفوزي) : عمومًا يا باشا ، نحن تلامذتك .

فوزي (مواصلا استفزازه) : ظننتك تقصد أنني أعمل حسابا للعقد ، أنا لا يهمني أي شيء .

حسين (بصبر) : طبعًا نعرف هذا يا باشا .

فوزي : أخاف أن تظن أنني أعمل عندك .

علي (مهدئًا) : كيف يظن هذا ؟ هل الحزب ملكه ؟

فوزي : أو تظن أنك صاحب فضل عليّ ؟

حسين : أبدًا يا باشا ، أنا لا أنسى أنني تعلمت الفن على يديك .

فوزي (ضاحكًا) : أي فن ؟ الكومبارس فنان ؟

علي (مصححًا) : كانت بدايته على يديك يا باشا .

فوزي (معجبًا بتعبير علي) : بدايته على يديّ ، كلام حلو ومعقول . ألم تكن يا حسين كومبارس في مسرحية فندق خمس نجوم ؟

حسين (متصنعًا ابتسامة) : آه ، صحيح يا باشا .

فوزي : وما دورك في المسرحية ؟

حسين : لا أذكر .

فوزي (ضاحكًا) : أنا أذكر . كنت خادم التشريفات ، وكان الدور لائقًا عليك ، لأن شكلك يتكيف معه ، وكان اسمك عبده أو عثمان . صحيح ؟

علي (يضحك) : لا ، كان اسمه إدريس .

فوزي : عبده ، إدريس ، عثمان ، كلها أسماء الخدم في الأفلام والمسرحيات .

حسين (بعصبية شديدة) : ما علاقة هذا الكلام بموضوعنا يا باشا ؟ أنت تغلط في ؟

فوزي : معذرة ، أنا لا أقصد ، ولكن تعلم أنني أحب التاريخ ، وخصوصًا تاريخ الرجال الذين يعملون معي .

حسين : وما غرضك من هذا ؟

فوزي : أن أوقف كل فرد عند حده . الناس مقامات ، وأنا مقامي فوق الكل .

علي : تمام يا باشا .

حسين (بعناد) : هذا في قصر الثقافة .

فوزي : لا ، في أي مكان له علاقة بالفن ، وخصوصًا بالمسرح .

حسين : عمومًا ، الدنيا متقلبة ، ساعة في العالي ، وساعة في ...

فوزي : هذا معك ومع أمثالك ، أما أنا فلي تاريخ عريق ، لأنني من عائلة عريقة ، وصاحب تاريخ فني عظيم .

حسين (باستسلام) : صحيح .

(طرقات على باب الغرفة ، ثم ينفتح الباب ، حيث تدخل منى بملابس أنيقة ، تسترعي انتباه الجميع ، ينظر لها حسين مندهشًا)

منى : صباح الخير .

حسين : صباح القشدة ، صباح الياسمين .

فوزي (منغّما) : أهلاً يا منى ، زيارتك شرف لنا .

منى : الشرف لي يا فوزي باشا .

فوزي : خيرًا ، ماذا وراء صعودك للدور الثالث وأنت من أهل الدور الأرضي ؟

منى : أبدًا ، أحببت السلام عليك .

فوزي : هذه الأناقة كلها من أجل السلام عليّ ، والله أنا محظوظ .

حسين : طبعًا محظوظ يا فوزي باشا ، منصب وجميلات .

منى (تنظر شذرًا لحسين) : هل تظن الباشا ملك ونحن جواريه ؟ أنت هنا في مؤسسة ثقافية محترمة .

علي (يخرج من صمته) : صحيح يا آنسة منى القصر مؤسسة محترمة جدًا .

منى (لعلي) : أنت آخر من يتكلم عن الاحترام .

علي : نحن تصالحنا يا منى هانم .

فوزي : منى ، لا يكون قلبك أسود ، علي زميل فاضل .

منى : صحيح زميل . أمشي أنا الآن ، وآتيك في وقت آخر يا باشا .

فوزي : قولي ما عندك ، الجماعة أصدقائي .

منى (بتردد) : أبدًا ، لم أجد اسمي ضمن كشوف ندوات مهرجان القراءة للجميع .

فوزي : عجيب هذا الأمر .

منى : وأنا تعجبت مثلك يا باشا ، تجاهلوني ، ووضعوا أسماء أخرى لا علاقة لها بالثقافة .

فوزي : من الذي وضع الكشوف هذه السنة ؟

منى (تشير إلى **علي** دون كلام) .

فوزي : وما دخلك يا علي بهذه الكشوف ؟ هذا شغل أمينات المكتبة .

منى : الأستاذ علي تدخّل ورفع اسمي من الكشوف ، حسب ما سمعت من الأمينات .

علي : كذب يا باشا ، لا علاقة لي بالكشوف .

فوزي : كذاب يا علي ، ويظهر أنني سأتدخل وأمنع نفوذك في القصر .

علي : يا باشا ، النشرة الواردة من اللجنة العليا لمهرجان القراءة للجميع تحدد من يقدم الندوات ، والشروط لا تنطبق على الأستاذة منى ، لأنها دبلوم تجارة .

فوزي : وبأي حق تتدخل يا علي وترفع اسمها ؟

علي : أنا مسؤول عن الوارد والصادر وجميع المراسلات .

منى (ببرود) : والست ميرنا والأبله هبة والأبلة حلمية معهن دبلوم تجارة أيضًا ، وأسماؤهن في الكشوف .

علي (مرتبكًا) : لم أرَ هذه الأسماء .

فوزي : علي يا عليوة ، يظهر أن ذيل الكلب لا ينعدل ، ضع اسمها في الكشوف يا علي ولا تكررها مرة ثانية .

حسين : وأهلاً بالأستاذة منى في حزبنا من أجل إعطاء ندوات ومحاضرات ثقافية .

فوزي (مبتسمًا) : لا ، منى خارج هذا الموضوع يا حسين .

علي (محاولاً الصلح) : يا أستاذة منى أنا لا أقصد الضرر لك ، بالعكس أنا وضعت اسمك ضمن فرقة العرض المسرحي الخاص بحزب السلام والتنمية

حسين (مندهشًا) : هذا خبر سعيد ، وستنجح المسرحية على الفور .

منى (بقرف) : وأنا غير موافقة ، أنا لست ممثلة .

علي : الترشيح من فوزي باشا .

فوزي : أترفضين ترشيحي يا منى ؟ أنا صانع النجوم والنجمات ، وأرى فيكِ بوادر موهبة عظيمة ، كما أنك اشتغلتِ معي في أكثر من مسرحية .

منى : كانت أدوارًا صغيرة ، كلمتين وأروح البيت .

فوزي : لا ، سيكون لك دور كبير في هذه المسرحية ، أنا منتظر حتى يكتمل النص .

منى : تحت أمرك يا باشا ، (تنوي الانصراف) أنزل الآن لشغلي ، شكرًا يا فوزي باشا.

فوزي (منغّمًا) : العفو يا منى ، زيارتك شرف لنا .

(تخرج منى ، وتتبعها العيون الشبقة)

فوزي (مستأنفًا الحديث الأول بتجلٍ) : ها يا حسين ، أعجبني فيك أنك فشلت في التمثيل على المسرح ، ونجحت فيه في الحياة .

حسين (متلاشية الابتسامة من على وجهه) : غير معقول ، أنا بهلوان ؟!

فوزي (بعطف) : لا أقصد ، وإنما أقصد أن الدنيا مسرح كبير كما يقول يوسف بك وهبي ، وكلنا ممثلون على هذا المسرح .

حسين (معجبًا) : إذا كان هذا رأيك ، فأنا وأنت وعلي ممثلون .

فوزي : نعم ، كلنا ممثلون ، قل لي إذن : أيهما أجمل : التمثيل في السياسة أم في المسرح؟

علي (مهدئًا) : والله يا فوزي باشا ، على قدر ما أنت تستطيع أن تغيظ من أمامك ، على قدر ما أنت حكيم وفيلسوف . (إلى حسين) أجب يا حسين عن سؤال الباشا .

حسين : يهمك أن تعرف يا باشا ؟

فوزي : طبعًا ، حتى أتعلم جديدًا .

حسين (بارتياح) : ظننتك غير هذا يا باشا ، لم أكن أعلم أنك تحب أن تطّلع على تجارب الآخرين .

فوزي : لا تزعل مني ، أنا أحب العراك والضحك ، أجب عن سؤالي .

حسين (معترفًا) : التمثيل على المسرح أجمل .

علي : لماذا ؟

حسين : التمثيل على المسرح كذبة لمدة دقائق أو ساعات ، أما في السياسة فأنت تكذب طول الوقت .

فوزي : كلامك مضبوط ، ولماذا لا تكمل في المسرح ، وتجمع الحسنيين ؟

حسين : أنا شكلي لا يصلح على المسرح ، إلا في أدوار معينة .

فوزي (زاعقًا) :إذن ، أنا صح ، عندما وضعتك في دور الخادم .

حسين : أنا الآن ، أمين حزب السلام والتنمية في محافظتي .

فوزي (ضاحكًا بصوت زاعق) : أيضًا خادم ... في الحزب والسياسة ..

حسين : أكل عيش يا باشا ، والوطن كله خدم بدرجات .

فوزي : إلا أنا ، مخرج ، أحرك الخدم بدرجاتهم كما أشاء .

حسين : أشك ...

فوزي (يصرخ) : تشك ...

حسين : لا أقصد ، أنت مخرج كبير بالطبع .

علي : نحن أحباب دائمًا .

فوزي : عمومًا أنا أريدك في أحد أدوار المسرحية الجديدة .

حسين : لا ، أنا تركت الشغل من زمان .

فوزي : فكّر ، وأعدك أن يكون دورًا بارزًا ، ويبقى في ذاكرة الجمهور .

حسين (متفكرًا) : أفكّر في الموضوع .

علي : والله فكرة ، أن تعود مرة أخرى للتمثيل يا حسين ، ومع مخرج كبير مثل فوزي باشا ، وهذا يدعّم موقفك في الحزب .

حسين (مبتسمًا) : فكرة حلوة .

علي (مغيرًا الموضوع) : أين ستكون البروفات يا حسين ؟

حسين : أنت المسؤول يا علي عن هذه الأمور .

علي : أقترح أن تكون البروفات في مسرح مجلس المدينة .

حسين : لماذا ؟

علي : واسع ، وهادئ ، وهو المكان المفضل للباشا .

فـوزي : صـحيح ، ميـزة هـذا المسـرح أنـه نظيـف ، لأنـه مكـان حفـلات المحافظ ومدير الأمن دائمًا .

حسين : كما تشاؤون ، أنا تحت أمركم .

فوزي (ينظر لساعته) : أذهب الآن ، أشوف أمي ، وأعطيها الدواء .

علي (متسائلاً) : لماذا تتعب نفسك ؟ أين الخادمة أم سعد ؟ ألا تأتي في النهار ؟

فوزي : أحب أن أطمئن على أمي بنفسي ، والخادمة في النهاية خادمة ، أما أنا فابنها ، ربنا يشفيها من مرضها الطويل المزمن .

علي و حسين : آمين .

(ينصرف فوزي ، حاملاً جاكتته ، فيما يخلو علي مع حسين)

حسين (ينفخ بقرف) : رجل نصف كُم ، يظن نفسه فوق الناس .

علي : تحمّله يا حسين ، أنا أعرفه أكثر منك ، هو رجل طيب ، ولكن ما رآه في حياته كثير ، خسر ثروة عائلته بسبب الثورة.

حسين (بخبث) : لماذا لم يتزوج بجد ، وينجب أولادًا ؟ أليست له تجارب مع النساء في شبابه ، معقول يعيش دون زواج حتى الآن ؟

علـي : سألته كثيرًا ، ولكنه يصمت ، داهية في كل وقت ، ولا تؤثر في ذاكرته الخمر ولا الحشيش ولا البانجو .

حسين : وأمه ، ما أخبارها ؟ منذ أن جئت قصر الثقافة ودنيا المسرح ، وأنا أسمعه يشتكي من مرضها .

علي : علمي مثل علمك ، أنا رغم قربي منه ، ولكن ما دخلت بيته أبدًا ، ولا شفت أمه.

حسين : لن تفرق ، المهم أنه رجل عجيب ، يغيظك ، ويجبرك أن تتعامل معه ، ويشعرك أنك محتاج له دائمًا ، رغم أنه حشاش وسُكَريّ .

علي : اترك فوزي أبو طالب ، ونريد أن نتكلم في المهم ، جهز ميزانية المسرحية بسرعة ، نريد أن نبدأ البروفات .

حسين : وموضوع ممثلة القاهرة المشهورة ، ماذا ستفعل به ؟ لا تنس أنها التي ستحمل المسرحية ، وتعمل شهرة كبيرة لها ، وستجذب الجمهور ، وبالتالي سنجمع مصاريف المسرحية في أسبوع أو أسبوعين .

علي : اطمئن يا حبيبي ، أنا اتفقت مع صاحب لي في القاهرة ، سيجري مفاوضات مع أكثر من ممثلة ، وقد اتصلت به اليوم فأخبرني أنه يبحث ، وفاتح أكثر من واحدة .

حسين : نريد أن نعرف اسم الممثلة بسرعة ، حتى يوافق الحزب على ميزانية إضافية .

علي (مستغربًا) : ميزانية إضافية ! زيادة على الميزانية الحالية ؟!

حسين : المبلغ لن يكفي .

علي : أنت تلعب بطريقة كبيرة يا حسين ، وأخاف أن يرفضوا طلبك ، ويوقفوا العرض من أساسه

حسين (ضاحكًا) : صحيح ، التمثيل في الحياة أصعب من المسرح ، والتمثيل في السياسة أصعب من الحياة .

علي : ماذا تقصد ؟

حسين : يا حبيبي ، أنا أعرف من أين حصل الحزب على النقود ، وأعرف حجم ما حصل عليه الحزب من الدولة من دعم ، وأعرف أن الحزب يحتاج لإنجاز هذه المسرحية بسرعة حتى يغطي نفسه أمام الدولة .

علي : فيه سؤال يحيرني ، لماذا اختاروا فرع الحزب في محافظتنا بالذات ، ولم يقم به المقر الرئيسي في القاهرة ؟

حسين : لأن المقر الرئيسي في القاهرة وزّع الأدوار : هم سيصدرون جريدة يومية ، ونحن ننتج مسرحية ، وفرع الحزب في الأسكندرية سينتج مسلسلاً عن طريق شركة خاصة .

علي : ياه ، أنت داهية في السياسة !

حسين : لا ، أنا في أول طريق السياسة .

(إظلام تدريجي)

الفصل الثاني

المشهد الأول

(في مقهى فخم نسبيًا ، الكراسي والمناضد موزعة في الوسط والأركان بنظام ، شاشة تلفاز مسطحة كبيرة ، تعرض أفلامًا ، ويبدو فيها شعار محطة خاصة ذات اشتراك شهري غال ، يوجد بعض الزبائن ، أصواتهم مختلطة مع صوت التلفاز ، يجلس علي والزنكي ، النادل يرتدي قميصًا وكرافتة ، ولكن يرفع صوته بالطريقة القديمة في تلبية الطلبات : أيوه جاي ، وعندك واحد .....)

النادل (مخاطبًا عليا) : أأمر يا أستاذ علي .

علي : كيف حالك يا يوسف ؟ هات لي قهوة بدون سكر ، وهات للأستاذ الزنكي ما يطلبه .

الزنكي : شاي سكر كثير .

النادل : تحت أمركما . (زاعقًا بصوت عالٍ) عندك واحد قهوة سادة وواحد شاي سكر كثير .

الزنكي (متجولاً بعينيه في المقهى) : الدنيا تغيرت بسرعة في البلد ، من يصدق أن قهوة العسّال تتغير ، من الكراسي القش والطاولات الخشب إلى البلاستيك ، ومن الراديو الصندوق إلى التلفزيون السينما، حتى المياه الساخنة صارت تنزل من السخان .

علي (ضاحكًا) : غيبتك الطويلة عن البلد ، جعلتك تنسى ما فيها ، يا حبيبي كل هذه التغييرات منذ سنين .

الزنكي : بلدنا تطورت ، ومقهى العسال صار كافيتريا .

علي (ساخرًا) : يا حبيبي ، أنت الذي تطورت ، أيام الفقر كنتَ لا تجلس على مقهى العسال ، وكنت تقول أسعاره غالية ، وكنت تطلب من بوفيه القصر أو تروح مقهى معفن مثل مقاهي الريف الذي أتيت منه .

الزنكي : ما الحكاية ؟ أجلس مع فوزي باشا يسخر مني ، أجلس معك تسخر مني ؟ الكل يستهزأ بي !

علي : لأنك هزؤ يا زنكي .

الزنكي : احفظ لسانك يا علي .

علي : أنت السبب في السمعة هذه ، ما تفعله في القاهرة يأتينا أولاً بأول.

الزنكي : أنت جاهل ، كي تصعد في القاهرة لابد أن تتنازل وتقبل أي شغل .

علي : أنا لا أتكلم عن شغلك خدامًا عند السيد رائف ، بل أتكلم عن دخولك ورش سيناريوهات المسلسلات ..

الزنكي (متفاجئًا) : كيف عرفت ؟!

علي : أنت تعرف أن دبيب النملة يأتيني .

الزنكي : كذاب ، فيه أحد أخبرك .

علي (ضاحكًا) : صحيح ، مجدي الريجسير أخبرني .

الزنكي : عمومًا ، هذا أكل عيش .

علي : أنت ترمرم في الشغل ، بعد أن عرضتَ مسرحيات على الكوميدي ومسرح السلام، تدخل في ورش الكتابة . اسمك معروف ، لماذا تبيع جهدك لسيناريست يأخذ تعبك ويضع اسمه عليه ؟

(يأتي النادل حاملاً الطلبات في آنية فخمة ، يصمتان حتى ينتهي)

علي : شكرًا يا يوسف .

الزنكي (معترفًا) : اسمع يا علي ، أنا لا أحب الفقر ، كرهته كره جهنم ، وأنا دخلت ورش المسلسلات التلفزيونية ، حتى أتعلم الطريقة ، وهي جاءتني في وقت إفلاس ، ماذا أفعل ؟ قبلت حتى تتعدل الأمور .

(ثم أشار إلى شاشة التلفاز)

الزنكي : مشكلتكم في المحافظة هنا أنكم تلعبون في الفتات ، في مسرحيات الثقافة الجماهيرية، فرق الهواة ، وتنسون الخير الكثير في التلفزيون ... ، يا حبيبي الفضائيات كلها خيرات ، والموضوع كله يحتاج إلى صبر ، وإلى " لنكة " توصلك لهم .

علي : ما معنى " لنكة " ؟

الزنكي : لنكة من Link بالإنجليزي ، ومعناها وصلة أو واسطة .

علي : حاولنا زمان ، ولكنك تعرف أن الدنيا هناك مقفولة على أسماء معينة ، لا تساعد إلا ذيولها ، وفوزي باشا كان هناك ، وكل كلامه أسود عن الفن في القاهرة .

الزنكي : وأنا من آخر الكلام ، قبلت أن أكون ذيلا ، حتى أكبر .

علي (ضاحكًا) : حتى تكبر وتكون كلبًا له ذيل .

الزنكي : اخرس ، أنت الكلب .

علي : يا عزيزي ، كلنا كلاب .

الزنكي (مستكملاً) : حتى أكون حوتًا ، والحيتان لها ذيول .

علي : الموضوع كله أكل عيش .

الزنكي : يا حبيبي ، الفن في بلدنا معظمه كذب ، وكل الكتّاب المشهورين لهم ذيول يكتبون لهم ، ليست الموهبة هي الأساس ، المهم علاقاتك .

علي : صحيح .

الزنكي (بابتهاج) : ولكن لو تقرأ النص المسرحي الجديد ، ستندهش .

علي : تقصد مسرحية حزب السلام والتنمية .

الزنكي : نعم ، وستعرف كم أنني موهوب ، وضائع في هذه الدنيا .

علي : أين النص ؟

الزنكي : لا ، انتظر حتى يحضر فوزي باشا ، وتكون القراءة مرة واحدة .

علي (بقرف) : أنا أهم منه ، ولا تنس أنني الذي أحضرتك .

الزنكي : لا تزعل يا صاحبي ، لا أقصد ، إن هدفي اختصار الجهد والكلام .

(يصل بعض المسرحيين ، شباب وكهول ، عددهم ستة أو سبعة)

المسرحيون : السلام عليكم .

علي والزنكي : وعليكم السلام .

علي (واقفًا) : أهلا بالفنانين العظام ، أهلاً وسهلاً ، تفضلوا .

(يتصافحون ثم يحضرون مقاعد ، ويجلسون في حلقة)

علي : أهلاً بكم ، ماذا تشربون ؟

أصوات متداخلة : شكرًا ، شاي ، بيبسي ، قهوة سادة ، عصير ليمون ...

علي : الموضوع يا جماعة أن حزب السلام والتنمية سينتج مسرحية جديدة .

ممثل ١ : عرفنا ، وحسين عبد المولى وراءها ، رزق الهبل على المجانين .

علي : كيف عرفتم ؟

ممثل ٢ : لا شيء مجهول في بلدنا ، أنت تعلم أنها محافظة صغيرة ، وعدد الفنانين قليل .

الزنكي : مضبوط ، محافظتنا قرية كبيرة .

علي : مضبوط ، قرية كبيرة ، ينقصها المصاطب .

(يصل فوزي فجأة ، ويقف على رؤوسهم ، يرتدي قميصًا مشجرًا لا يتناسب مع الشيب في شعره والتجاعيد في وجهه)

فوزي : وينقصها الحمير والجاموس والبقر في الشوارع .

الجميع : أهلاً فوزي باشا . **(يفسحون له ، فيجلس وسط الحلقة)**

فوزي : زمان كان الفلاحون يسمون المحافظة البندر ، ولأنهم لا يجدون مواصلات مثل أيامنا هذه ، فكانوا يأتون نادرًا ، فكانت الشوارع نظيفة ، الآن ، أمشي بقرف في الشارع، تراب وزحام وشتيمة .

الزنكي : وأين سيارتك يا باشا ؟

فوزي : نعم يا زنكي ، كان زمان عندنا سيارات وخيول ، أيام جدي الباشا ، كنت في الأمريكان سكول ، وكنت أركب كل يوم سيارة مختلفة . أيام عز .

علي : فعلاً ، عز ووز .

فوزي (يشير لنفسه) : " هز يا وز ، يا وز هز ، غالي ومتربي على العز" .

فوزي : خيرًا ، ماذا فعلتم ؟ هل جهّزت النص يا زنكي .

الزنكي : جاهز تمام .

فوزي (ناظرًا للجالسين) : وهل أنتم الفرقة ؟

علي : نعم يا باشا ، هم تلامذتك ، وأحبابك .

فوزي (متفرسًا فيهم) : نفس الوجوه ، في فرقة القصر الرسمية ، وفرقة نادي المحافظة وفرقة الشباب والرياضة ...

علي : هم محترفون يا باشا .

ممثل ٢ : ونشتغل كذلك في فرق الهواة بمسرح الأقاليم .

فوزي : زمن : المحترفون فيه هواة ، والهواة محترفون .

الزنكي : أكل عيش يا باشا .

فوزي : طبعًا ، أنت آخر واحد تتكلم عن الفن ، لأنك أخذته " سبوبة " رزق .

الزنكي (متجاهلاً) : يا باشا أنا موهوب ، ولم أجد فرصة مناسبة .

فوزي : وأنا أشجع المواهب ، أين النص ؟

الزنكي (يبسط أوراقه) : سأقرأه لكم .

فوزي (متعجلاً) : لا ، احكِ حكايته وقل لي أهم شخصياته .

الزنكي : أنا قعدت في قريتنا أسبوعين ، وحاولت أن أكتب عن نموذج من نماذج الشباب الضال ، الذي سقط في التطرف .

علي : من تأليفك هذا يا زنكي ؟

الزنكي : نعم والله ، اطمئنوا ، أنا قرأت كثيرًا عن الموضوع ، وكل الورق الذي ستقرؤونه من بنات أفكاري ، ومستعد أن أحلف على هذا الكلام ، وقد وضعت كل خبرتي في هذا النص ، وسترون بأنفسكم .

فوزي : أنا لا تشغلني المقدمات الفلسفية ، أنا رجل عملي ، أحب أعرف الحكاية ، قبل ما أقرأ الورق ، وأنا لي رؤية خاصة ، عندما أجلس وأخرج .

ممثل ٣ : كلام مضبوط يا فوزي باشا ، ونحن اشتغلنا معك ، ونعرف طريقتك في الشغل.

ممثل ٤ : ونعرف أنك قد تدخل تعديلات قبل البروفات وبعدها .

فوزي : المهم عندي الحكاية ، وضبط الشخصيات . الحركة والكلام أمور سهلة .

(يردف) ما حكاية المسرحية يا زنكي ؟

الزنكي : البطل " عبد العزيز أبو وافية " شاب جامعي ، من أسرة متوسطة الحال ، الأب والأم يعملان في التربية والتعليم ، ربنا فتح عليهم وسافرا إعارة إلى السعودية ، وأخذوا أولادهما معهما ، وهناك تأثر البطل عبد العزيز ...

(يحضر النادي فنجان قهوة لفوزي باشا)

النادل : قهوة سعادتك ياباشا مضبوطة .

فوزي : شكرًا يا يوسف ، (يواصل) أقترح أن نغير اسم عبد العزيز لأنه طويل ، ونسميه ... ، نسميه " يوسف " ، خفيف وحلو .

النادل : شاكر أفضال سعادتك يا باشا .

فوزي : ما اسم أبيك يا يوسف ؟

النادل : إبراهيم ... ، أنا يوسف إبراهيم .

فوزي : يكون البطل يوسف ، وأبوه إبراهيم ، صحح هذا في الورق .

الزنكي (مستسلمًا) : سأفعل ، كما توقعت .

ممثل ٥ : الاسم الخفيف يسهل على الجمهور حفظه .

ممثل ٦ : ويوسف إبراهيم ، اسم حلو .

الزنكي : الحمد لله أنني كتبت المسرحية بالقلم الرصاص .

فوزي : أكمل يا زنكي .

الزنكي : في السعودية ، تأثر البطل ... يوسف بالجو الديني هناك ، وكان في سن المراهقة، فأطلق لحيته ، ولبس جلبابًا قصيرًا ، ولما عادوا إلى مصر ، بنوا بيتًا في أرض زراعية ، أي مخالف للقانون ، يبدأ البطل في خلافات مع أبيه ، لأن الأب كان يبحث عن المال فقط ، فكان يشتغل في كنترول الإعدادية ، ويقبض من الناس رشاوى مقابل أن ينجح أولادهم في امتحان الشهادة الإعدادية .

ممثل ٦ : موضوع جميل يا أستاذ زنكي .

ممثل ٧ : ويعالج التطرف المستورد من الخليج .

فوزي : أكمل يا زنكي .

الزنكي : الأم تعمل مديرة مدرسة إعدادية للبنات ، ولكنها مشغولة بفصول التقوية ، وتقوم بعمل مذكرات وتبيعها للبنات ، والمال طبعًا لحسابها الشخصي ، وتقدم هدايا فخمة للمسؤولين في مديرية التربية والتعليم من أجل الإبقاء عليها ، وعلى زوجها .

ممثل ٢ : العائلة كلها خربانة .

ممثل ١ : هذا واقع .

فوزي : والأولاد ؟

الزنكي : الابن ولد وحيد ، وله أختان ، واحدة تعيش قصص حب ، وهي أكبر من يوسف ، وأنهت الجامعة وتعمل مدرّسة في مدرسة خاصة ، والثانية أصغر من يوسف ، وقد تأثرت بكلام أخيها ، ولا تزال في الجامعة ، في إحدى الكليات في المحافظة .

فوزي : وما موقف الوالدين من تطرف ابنهما ؟

الزنكي : عارضاه ، وسخرا منه ، وهدده أبوه أن يبلغ أمن الدولة عن أصحابه ، وطبعًا الأحداث تتصاعد ويصل لأمن الدولة ، بعدما يتورط في الهجوم على الطلاب والطالبات المبتذلين في الجامعة .

فوزي (متفكرًا) : الحكاية حلوة ، ولكن رسالة المسرحية بهذا الشكل تهاجم ولا تعطي الحل ، وأنا أرى أن الحل أن البطل يعشق فتاة أو امرأة ، يتذوق معها طعم الرومانسية والحب الذي افتقده في العائلة .

الزنكي : لو أحب زميلة معه في الجامعة سيكون الموضوع متناقضًا ، كيف يهاجمهم في الجامعة ، ثم يعشق واحدة منهم .

علي : كلام معقول يا زنكي .

فوزي : إذن يتعرف على امرأة جميلة ، ولا توجد مشكلة لو كانت أكبر منه سنًا ، وتكون مثقفة ومتكلمة ، حتى تحويه وتستحوذ عليه .

ممثل ٤ : وبهذا تكون رسالة المسرحية أن الثقافة تواجه التطرف .

فوزي : الفكرة واضحة يا زنكي ؟

الزنكي : نعم يا باشا .

فـوزي : أريـدك أن تصـوغها حسـب التعـديلات الأخـيرة ، وأريـدك أن تقسّـمها على الـورق لمنـاظر أو مشـاهد وتكـون مرقمـة حـتى يسـهل علينـا التدريب في البروفات ، أنا أحب هذه الطريقة .

الزنكي : بسيطة يا باشا .

علي : نناقش الآن الشخصيات .

فوزي : عدّد لي يا زنكي شخصيات المسرحية .

الزنكي (يعدّ على أصابعه) : الأب ، الأم ، البطل يوسف ، الأختان ، عشـيقة يوسـف ، وعـدة أصـدقاء ليوسـف ، وأصـدقاء لـلأب ، والأم ، وضباط أمن الدولة .

فوزي : العدد حوالي ١٥ فردًا أو أكثر ، اكتبهم لي في ورقة ، واكتب دور كل واحد منهم ، وأنا سأقوم بتسكين الشخصيات على الممثلين ، وجهز لي رجال الموسيقى والديكور .

علي : إن شاء الله يا باشا ، متى أحضر الورق ؟

فـوزي : في قعـدتنا في الليـل طبعًـا . (يغـني مقطعًـا لأم كلثوم) " وآه يا ليلي آه ع الوعد والمكتوب ، ليل يا عين آه ع الوعد المكتوب " .

(يقف فوزي ، يعدّل هندامه ، ينظر لساعته)

فوزي (بطرب) : إلى اللقاء يا أصدقاء .

الزنكي : إلى أين يا باشا ؟

فوزي : أروح البيت ، أشوف أمي ، أتعشى معها ، وأعطيها الدواء .

علي : لو تحتاج أي خدمة أنا حاضر ، وتحت أمرك .

فوزي : جهز قعدتنا في المخزن يا عليوة ، هذه مهمتك .

علي : عيوني يا باشا . **(ينصرف فوزي)**

الزنكي : الباشا ، رغم أي شيء ، داهية وفنان في المسرح .

علي : طبعًا ، ويفهم الأمور جيدًا .

الزنكي :بالمناسبة ، حاولْ أن تحل مشكلة الممثلة المشهورة بسرعة ، كلها أيام ونبدأ البروفات .

علي : سأتصل بمجدي الريجسير ، حتى أعرف ماذا فعل ، وسأستقر معه على اسم الممثلة وهذه في غاية الأهمية .

الزنكي : وأنا سأنهي المسرحية .

علي : اذهب بها إلى حسين عبد المولى ، حتى يصورها عدة نسخ ، لنوزّعها على الممثلين وطبعًا نعمل نسخة فخمة للباشا .

الزنكي : عيوني ، هيا بنا .

(ينصرفون ، فيما يرتفع صوت النادل بندائه التقليدي " أيوه جاي ، عندك واحد شاي على البسطة ، سكر برة ، وواحد قهوة سادة ...")

(إظلام)

المشهد الثاني

(منصة مسرح مجلس المدينة ، المنصة خشبية ، حولها كراسٍ متناثرة ومناضد ، وفي جوانبها أجزاء من الديكور المجهز ، حيث تم تخزينه بطريقة تسهل تركيبه وفكه لعمل البروفات ، فيما تبدو عدة سماعات ضخمة ، تنقل الموسيقى التصويرية ، يجلس فوزي وحوله سائر الشخصيات السابقة)

فوزي (مستأنفًا كلامه بعد توقف) : اليوم يا جماعة ، نريد أن نشاهد بروفات الشغل ، وسنرى حصيلة أسبوعين تدريب قضيناهما حتى الآن .

علي (بحماسة) : الشغل عال جدًا ، والكل حفظ أدواره تقريبًا .

ممثل ٢ : التعديلات التي أدخلتها يا باشا على النص كانت مفيدة وصار عميقًا .

فوزي : من قلبك هذا الكلام ؟

ممثل ٢ : طبعًا يا باشا ، أنا رجل مستقيم ، الذي في قلبي على لساني .

فوزي : كل ما أريد التركيز عليه هو أن يكون التمثيل بحرارة وطبيعيًا .

(يتذكر شيئًا ، ينادي)

فوزي : ولد يا زكي ، زكي ، هات فنجان قهوة ، بسرعة يا ولد .

(يبرز زكي من خلف الديكورات)

زكي : تحت أمرك يا باشا .

فوزي : إن شاء الله يا زيكو زيكو سأكتب اسمك في إفيشات المسرحية .

(تبرز أم زكي من بين الحضور)

أم زكي : ربنا يخليك لنا يا باشا ، أصيل دائمًا .

فوزي : متشكر يا أم زيكو ، أنا ابن الأصول .

زكي : ستكتب اسمي جانب اسم منى .

منى (بقرف) : هذا هو الناقص ، الفراش اسمه جانب النجوم .

فوزي : بسرعة ستعيشين الدور يا منى . اصبري ، طريق النجومية طويل .

علي : أنت يا باشا السبب ، جعلت الموظفات ممثلات .

فوزي (بغضب) : اخرس يا ولد ، أنا مكتشف المواهب .

حسين عبد المولى : هذه نشهد عليها يا باشا ، تستطيع أن تعلّم التمثيل لأي إنسان .

فوزي (بغرور) : يا حبيبي ، بلا فخر ، أنا أصنع من العادي نجمًا ، (بفذلكة) هل تشاهدون أوتوبيسات المواصلات ؟

أصوات مختلطة : نعم ، نعم .

فوزي : أليس هناك ناس تسرع وتركب وتجلس في الكراسي ، وهناك من يتعلق على الباب ، ممكن أن يسقط في أي لحظة ؟

الأصوات : نعم ، صحيح .

فوزي : أنا أحب هؤلاء المعلقين على الباب ، آخذهم وأصنع منهم ممثلين.

ممثل ٣ : يعني التمثيل تدريب وصنعة .

فوزي : نعم ، المهم أن يكون التدريب على يد صنيعي تمثيل .

الزنكي (فجأة) : أين المواهب ؟ أين القدرات الخاصة ؟

فوزي : عند أمك يا زنكي .

الزنكي (هائجًا) : تغلط في أمي .

فوزي (ببرود) : لا ، أنا ما غلطت في أمك ، كلامي صحيح ، أمك تلد أصحاب المواهب والقدرات ، بدليل وجودك في الدنيا معنا .

حسين : الله عليك يا باشا ، أستاذ في الرد .

الزنكي : إذن ، تقفل الحكومة معهد المسرح ، ومعهد السينما .

فوزي : أنا أؤيدك يا زنكي .

حسين : لماذا يا باشا ؟ وأنت خريج معهد الفنون المسرحية ؟

فوزي : لأن الدنيا مسرح كبير ، وكلنا ممثلون ، وكذابون ، والممثل في رأيي كذاب مصدق نفسه ، ومن يصدق نفسه ، سيقنع الآخرين فيصدقوه .

(تصفيق من البعض)

فوزي (بتواضع) : شكرًا ، شكرًا ..

(يحضر زكي القهوة ، ويضعها على طاولة أمام فوزي)

فوزي (يرتشف القهوة بسرعة) : الآن ، أحب أن نشاهد مجموعة من المشاهد التي تدربنا عليها .

علي : نبدأ من الأول يا باشا .

فوزي (مقلبًا في الأوراق) : لا أنا مطمئن على المشاهد الأولى ، فبروفاتها جيدة ، هناك مشاهد محددة ، سنشاهدها ، ونقيّمها من جديد .

(ينظر في الورق ، يقرأ : " مشهد إقبال وزوجها ويوسف رقم ٨ " ، استعدوا)

(يتحرك الحاضرون ، فيما ينظم العمال الديكورات وهم يستمعون لتوجيهات مهندس الديكور ، يتخذ الممثلون أماكنهم خلف فوزي للمشاهدة، ويتحرك من سيؤدي الدور منهم)

فوزي : إضاءة وموسيقى .

(يرتفع صوت الموسيقى ، حاد ، يثير الضيق)

فوزي : ابدأ ...

* * *

(إظلام كامل للمسرح ، ثم إضاءة الركن الأيسر الذي به ديكور ، كراسي أنتريه منزلية ، مما يعطي الانطباع أنهم في صالة شقة)

[تظهر في الصالة أم زكي (أم يوسف وتدعى إقبال) ، ثم زوجها (ممثل ٦) ، يحملان كوبي شاي ، تقف أم يوسف ترتشف الشاي بصوت عال]

إقبال (بحدة وسيطرة) : صبرنا كثيرا يا إبراهيم ، تعبتنا أنت ومجموعة المهندسين والموظفين في حي شرق المدينة ، قرفنا من مماطلتهم .

إبراهيم (بحيرة مصطنعة) : ماذا أفعل يا أم يوسف ؟ دفعنا لهم فلوسا ، وأحضرنا هدايا ، وننتظر وعودهم .

إقبال: البيت حصيلة شقانا في السعودية ، واقف وسط الزرع مثل " أبو الهول " الثاني ، لا يصد ولا يرد .

إبراهيم : ربنا يسهل يا أم يوسف .

إقبال (تنظر شذرا له) : غلطتي ، أني معتمدة على رجل لا يصد ولا يرد ، أبو الهول الثالث .

إبراهيم (مبتلعًا الإهانة) : أنا الذي مشيت وراءك ، أنت التي صممتِ على البناء في أرض زراعية .

إقبال (مقاطعة) : أرض عائلتي يا ناقص .

إبراهيم : بنينا البيت وسط الزرع والمصارف ، والنتيجة لا ماء ولا كهرباء فيه .

إقبال: أحببت أن أسكنك في فيلا بدلا من شقة المساكن التي نعيش فيها منذ زواجنا ، شقة مثل العلبة .

إبراهيم (مبشرًا بثقة) : عمومًا الرجل الذي رحت له اليوم ، وعدني أن يعطينا توصيلة كهرباء من أقرب عمود نور ...

إقبال: على بعد كم مترًا ؟

إبراهيم : نصف كيلو متر تقريبًا .

إقبال (تشهق) : يا خراب بيتنا ، خمسمئة متر يا رجل .

إبراهيم (بخبث) : اصبري يا ولية ، نصفها على حساب الحكومة ، لأنهم سيمدون الكهرباء لمخزن الحبوب الذي يملكه " زكي شيحة " عضو مجلس الشعب ،ونحن نأخذ من عند شيحة توصيلة .

إقبال (بفرح) : كلام عدل ومضبوط ، أرحت قلبي .

إبراهيم (بخبث) : وأنا عندي أبو تلميذ في الإعدادية ، يعمل في مجلس المدينة ، وعدني أن يجعل وصلتنا على حساب المجلس لو نجح ابنه ، ووعدني أنه يدق طلمبة مياه في الأرض ونركب عليها موتور مياه .

إقبال: ونجاح ابنه مضمون .

إبراهيم : طبعًا ، أنا الكل في الكل في الكونترول ، وأنا سأوفر عليه أكثر من خمسة آلاف جنيه دروسا خصوصية .

[تضحك أم يوسف بغنج ، وتدفع زوجها بكوعها في وسطه ، فيما يدخل ابنها يوسف حاملاً كتبا ، (ممثل ٢) ، ينظران إليه دون حرج]

إقبال: يا بني ، بُصّ قدامك ، الموجود أبوك وأمك ، داخل لا سلام ولا كلام .

إبراهيم (موافقًا لها) : طبعك جاف .

يوسف : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

إقبال: مقفّل في كلامك وفي سلامك .

إبراهيم : لماذا وجهك مقلوب مثل الصرمة القديمة ؟

يوسف (متضايقًا من كلامهما) : الحمد لله ، ربنا خلقني بوجه طيب ، فيه الجد والاحترام .

إقبال: لا ، فيه شيء ضايقك ؟ ما هو ؟

يوسف : بصراحة نعم ، أنا كنت في الغرفة وسمعت كلامكما .

إبراهيم : تجسست علينا يا شيخ يوسف ، تتجسس على أبيك وأمك ، هكذا علمك شيوخ الجماعات الإسلامية الذين تمشي معهم .

إقبال: شيخ مولد ، أم شيخ منصر أم شيخ مطحطح ؟

يوسف : الله يسامحك يا ماما . أنا سمعت كلامكما قدرًا ، من باب المصادفة فقط .

إقبال: وبعد ذلك ؟

يوسف : يا جماعة حرام الذي تعملانه ؟ رشوة ، وواسطة . البلد خربت من كل هذا .

إبراهيم : ولد وسخ ، نحن نعمل حراما ، هذا البيت لمن ؟ لك ولإخوتك .

يوسف : لن أسكن في بيت ماؤه وكهرباؤه حرام .

إقبال: نم في الشارع أحسن ، " وش " فقر مثل أبيك .

إبراهيم : بسرعة تنقلبين عليّ ؟

إقبال: تقدر على الدنيا كلها خارج البيت ، ولا تقدر على ابنك ؟

إبراهيم : نصيبي من الدنيا ، ولد أهبل ، يعيش بفلسفة ودين ، في زمن الناس فيه لا يعرفون إلا الدرهم والدينار يا عم الشيخ .

يوسف : أنا أنصحكما ، والله شهيد على ما أقول ؛ اتركا هذا الأمر ، وانسيا البيت أو استغلاه في شيء آخر ، ابعدا عن الحرام .

إقبال (تبصق على الأرض) : حرام يا وسخ يا واطي ، لولا أنني أعرف أنك ابن إبراهيم وابني لقلت عليك ابن حرام .

* * *

صوت فوزي : Stop . (يضاء المسرح كله)

(تصفيق من الحاضرين)

فوزي (مصفقًا) : تمام يا أم زكي ، الدور راكب عليكِ .

أم زكي (تضحك) : تلميذتك يا بعلي .

فوزي : بعلك سابقًا يا أم زيكو .

أم زكي : أنت – دائمًا – غال في القلب يا باشا .

فوزي (بإعجاب) : بيني وبينك يا إقبال ، أول مرة أشوفك بشكل محترم .

أم زكي : ماذا تقصد يا باشا ؟ قصدك أنني غير محترمة سابقًا .

فوزي (بفلسفة) : أبدًا يا حبيبتي ، ولكن الدنيا عجيبة ، تتكون شخصيتنا حسب عملنا وحسب بيئتنا ، شخصيتك في المسرحية ناظرة

مدرسة وزوجة قوية ، وتؤدينها بتمكن ، أما في الحياة ... ، في الليل ... (يتوقف)

أم زكي (ضاحكة) : هه ، أكمل ... ، ماذا بي ؟ ست تمام ، على سن ورمح يا فوزي ... باشا ، ولا تنس أن الفرفشة عندي .

فوزي (بحزم) : نعود للشغل . أريد عرض مشهد ...(ينظر في أوراقه) مشهد ١١ ، أريد عرضًا كاملاً .

علي : الديكور يستعد ، والإضاءة ، والموسيقى .

(يتحرك الحاضرون ، فيما ينظم العمال الديكورات وهم يستمعون لتوجيهات مهندس الديكور ، يتخذ الممثلون أماكنهم خلف فوزي للمشاهدة، ويتحرك من سيؤدي الدور منهم)

فوزي : إضاءة وموسيقى .

(يرتفع صوت الموسيقى ، ناعم ، مع نغمات راقصة)

فوزي : ابدأ ...

* * *

(إظلام كامل للمسرح ، ثم إضاءة الركن الأيسر الذي به الديكور ، نرى غرفة نوم ضيقة في شقة المساكن ، بها سريران ، ودولاب كبير)

[تظهر في الصالة الأختان : " آمال " وتقوم بدورها " منى " ، و" ريم " وتؤديها ممثلة أخرى ، ترتدي " آمال " فستانًا ضيقًا ، وتضع مكياجًا ببراعة ، وتغطي شعرها بإيشارب ، أما " ريم " فهي تلبس فستانًا فضفاضًا ، وحجابًا طويلاً ، ووجهها دون مساحيق ، بحكم تأثرها بيوسف]

آمال (**ضاحكة**) : موقف غريب يا ريم حصل اليوم .

ريم (ترفع نظرها عن كتاب تقرؤه) : خيرًا ؟ وحياتك كلها مواقف غريبة .

آمال (بحدة) : يا أختي العزيزة ، أنت تعيشين حياة تقليدية ، حياة جدنا وجدتنا ، الناس تتطور ، وأنت ويوسف ترجعان للخلف .

ريم : الاستقامة لا تعرف الجد ولا الحفيد يا أختي .

آمال : انظري لي ، أنا محجبة ، ولكن لست معقدة ، كيف أتزوج إن لم ير الشباب جمالي ؟

ريم (هازئة) : الجمال المصنوع أم الجمال الحقيقي الرباني ؟

آمال : عبيطة مثل يوسف .

ريم : الله يسامحك .

آمال : المهم يا ريم ، سأحكي لكِ ؛ اليوم جاءني عريس ويظهر أنه من طرفكم .

ريم : ما معنى من طرفكم ؟

آمال : زميل في المدرسة ، مدرّس ، لحيته خفيفة .

ريم (تتعجلها) : وماذا بعد ؟

آمال : أبدًا ، يريد الزواج .

ريم : وما ردك عليه ؟

آمال : أحببت أن أناقشه .

ريم : تناقشيه ؟ ارفضي فورًا ، إذا كنتِ لا تريدينه . على عادتك ، كلما تقدم لكِ شاب محترم ، ترفضينه .

آمال : يا أختي الحبيبة ، أنا أبحث عن شاب يملأ عيني ، أناقة ووسامة ، ومرح ، وغنى .

ريم : ابحثي عنه كما تشائين . دعيني أذاكر .

آمال (مواصلة القصة) : لم تسأليني عما حدث بعد ذلك ؟

ريم : لأني أعرف النتيجة مقدمًا .

آمال : سألت زميلي الشيخ وقلت له : لماذا اخترتني أنا بالذات ؟ وأنا متبرجة كما تقولون .

ريم (متنهدة) : وماذا قال ؟

آمال : إجابة غريبة . قال : أنا معجب بك ، وأرى فيكِ خيرًا كثيرًا .

ريم : واضح أنه رجل طيب .

آمال : استغربت وقلت له : المشايخ يحبون من أول نظرة ! فقال : لا يوجد شيء اسمه حب من أول نظرة ، ولكن فيه قبول من الطرفين .

ريم : شاب عاقل ومحترم .

آمال : يا عبيطة ، مشكلتك أنك لا تفهمين الدنيا . أنا فهمت هذا الشاب ، واضح أنه متزمت بعد انحلال ، وندم على تزمته .

ريم : ممكن أن يتراجع ، لا أحد يجبره .

آمال : إنه يعيش في أزمة ، ويريد حلها .

ريم : صرتِ محللة نفسية يا آمال .

آمال : أنا متأكدة ، لأنه زميل في المدرسة من سنتين ، وكنت أسمع عن شقاوته ، لأنني خرجت معه في رحلة من قبل ، ثم سمع شرائط عمرو خالد والحبيب الجفري ، وبدأ يتوب إلى الله .

ريم : حلو ، ساعديه ، وتزوجيه ، واجمعا الحسنيين كما تقولين .

آمال : يا حبيبتي ، ما الذي يجبرني أن أعيش مع رجل متقلب ، مرة في اليمين ومرة في الشمال ؟

ريم : ربما يدعوك لطريق الالتزام الديني .

آمال : وربما أجرّه لعدم الالتزام ، وأنتِ تعرفين أنني صاحبة شخصية مؤثرة.

ريم : وكيف قلتِ له قرارك .

آمال (بطريقة تمثيلية) : قلت له إنني لا أفكر في هذا الموضوع حاليًا .

ريم : وردّه ؟

آمال : ثار ، وقال : كيف ترفضين شابًا ملتزمًا ،والرسول يقول: " إن جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير "

ريم : ما شاء الله ، تحفظين الحديث !

آمال (ضاحكة) : لأن أخي وأختي شيخان .

* * *

صوت فوزي : Stop . (يضاء المسرح كله)

(تصفيق من الحاضرين)

فوزي : أداء جيد يا منى ، قصدي يا آمال ، أما أنتِ يا ريم فأريدك أن تكوني شيخة أكثر وأكثر .

(ينظر لساعته ، ثم يصفر بشفتيه)

فوزي : نكمل المرة القادمة يا جماعة ، بالسلامة أنتم الآن .

(يتحرك الممثلون ، ويتم تفكيك الديكور ، فتعلو الجلبة)

علي : وهو كذلك يا باشا .

حسين (مشتكيًا) : حتى الآن ، لم نستقر على ممثلة القاهرة .

فوزي (بقرف) : أنتم قلتم لي أنكم رشحتم اثنتين أو ثلاث .

علي : الريجسير اتصل بي اليوم في الصباح ، وأخبرني أن أي ممثلة مشهورة ترفض الحضور لمحافظتنا ، لأنها إقليمية .

فوزي (يستعد للسير) : وما الحل ؟

حسين : نحضر أي ممثلة من البلد هنا .

علي : الريجسير يقترح أن نأتي بممثلة ممن غابت عنهم الأضواء ، ولكن اسمها في الذاكرة .

فوزي : بصراحة ، أنا لا أحب العمل مع أي ممثلة من القاهرة .

حسين : لماذا يا باشا ؟

فوزي : لأنها تكون مغرورة ، وتتكبر عليّ ، وترى أنها أكبر من مسارح الأقاليم .

علي : ولكن اسمها في الإفيشات سيفرق معنا كثيرًا في الدعاية .

حسين : فعلاً .

فوزي (بضيق) : أنا موافق ، أحضروا أي ممثلة ، أنا عارف أهمية أن يكون اسمها على المسرحية ، عند الجمهور وعند التحكيم .

حسين : اتصل بالريجسير ، وأخبره بالموافقة . ولابد أن تحضر موعد البروفة القادمة ، يوم الثلاثاء أو البروفة التي تليها .

فوزي (يسير نحو باب الخروج من المسرح وهو يغني أغنية مُحَمَّد منير التراثية) :

يا اماه ، يا اماه ، أماه

أنا راجع زي زمان ، يا اماه

وأشيل عنك الأحزان

غلطان أنا في العنوان

يا اماه

" سامحيني حبيبتي يا سمرا

واغسليني بطهركْ يا اماه

يا اماه ، يا اماه ، ياامامه .... أماه "

(تعزف الموسيقى نفس النغمة السابقة ، ثم إظلام تدريجي)

المشهد الثالث

(منصة مسرح مجلس المدينة ، نفس الديكور السابق ، قبل موعد بدء البروفات للمسرحية ، كل الشخصيات السابقة ، في هرج ومرج ، ولم يصل فوزي بعد)

علي (متهللاً) : مبارك عليكم يا جماعة .

أصوات متداخلة : خيرًا ، ماذا عندك ؟ ماذا حدث ؟

علي : نجحنا في التعاقد مع ممثلة مشهورة من القاهرة .

أصوات متداخلة : مبارك ، أخيرًا ...

منى : ومن هي صاحبة العصمة والشرف ؟

علي : مفاجأة ! الممثلة دلال صادق .

أصوات تردد اسمها : دلال صادق ... ، دلال ... ، ياه .

منى : هل ما زالت تمثل ؟ ظننا أنها تحجبت واعتزلت ؟!

علي : لا ، لا تزال تمثل ، وستأتي وتشترك في المسرحية .

أم زكي : والله زمان يا دلال ، أين أيامك ؟ أيام السينما والشقاوة في السبعينيات .

ممثل ٣ : وأدوار الإغراء في أفلام السبعينيات والثمانينات ؟

ممثل ٥ : ولكن لماذا اختفت ؟

علي : لم تختفِ ، ولكن هذا حال الفن ، صاعد أو هابط بصاحبه .

ممثل ٤ : هذه حال الدنيا كلها ، من ارتكن عليها ، ارتكن على الهواء .

منى : غريبة ! تقولون إنكم ستحضرون ممثلة مشهورة ، ودلال صادق " راحت عليها " .

علي : لسانكِ دائمًا فيه قطعة زائدة .

ممثل ٢ : صحيح ، صدّعتمونا بالممثلة المشهورة التي ستحمل معها المسرحية ..

منى : وقلتم ستحملنا معها للنجومية .

ممثل ٢ : هل دلال صادق الآن مشهورة واسمها سيغطي الإفيشات ؟

حسين : يا جماعة ، اصبروا ، الممثلة المشهورة طلبت مئة ألف جنيه ، وقالت نذهب إليها، ونعمل البروفات في أحد مسارح القاهرة .

علي : يعني تأخذ ميزانية المسرحية كلها .

زكي : ودلال صادق حلوة مثلك يا منى ؟

علي : طبعًا حلوة ، هؤلاء الممثلات يحافظن على جمالهن .

حسين : ولا يظهر الزمن عليهن .

أم زكي : هي أكبر مني ، غريبة الدنيا !

علي : غير صحيح ، حتى لو كانت أكبر منك ، شكلها وجمالها يعطيها سن الثلاثين على الأكثر .

حسين : ويوم ظهرت كان عمرها سبعة عشر عامًا أو أقل .

الزنكي : آه ، ولكن امرأة بصحيح ، جيلنا كله حلم بها .

أم زكي : حلمت وأنت نائم ؟

الزنكي : حلمنا بها وانتهى الأمر ، الحلم لا حدود له .

زكي : الباشا وصل ، سمعت صوته في مدخل المسرح .

علي (بصوت عال) : لو سمحتم يا جماعة ، لا أحد يتكلم ويمدح دلال صادق ، أمام الباشا ، لأنه متقلب المزاج ، ويكره فنانات القاهرة ، ويقول إنهن مغرورات ، اتركونا ، وسنخبره نحن بطريقتنا .

حسين : نعم يا جماعة ، وممكن ألا يعجبه اختيارنا ، ويرفضه ، أنتم تعرفونه.

علي : سنخبره بطريقة خفيفة ، أخاف أن يقول إنها لا تصلح للدور .

أصوات متداخلة : صحيح ، كلنا نسكت .

الزنكي : ونترك الأستاذ علي يتصرف بطريقته .

(يدخل فوزي ، ضاحكًا ، وهو يصفر بلحن أغنية : " الحياة حلوة ، بس نفهمها ، لفريد الأطرش)

فوزي : مساء الفل والياسمين يا زهور .

الحاضرون : مساء النور .

أم زكي : مساء البنّور .

فوزي (متأملاً أم زكي في ملابسها المحتشمة) : جمالك غطّى على الكل ، وغطى على جمال الصغيرات .

أم زكي : هذا من ذوقك يا بعلي .

فوزي : قلت لك سابقًا .

أم زكي : ستظل بعلي ، رغم الفراق .

فوزي (ضاحكًا) : رغم الطلاق ، لسانك طول عمرك شهد يا حلوة .

علي : الكل مستعد يا باشا .

(يجلس فوزي على كرسيه ، وأمامه طاولته الصغيرة ، في ركن بالمسرح ، ويبسط أوراق المسرحية)

فوزي : نصك حلو يا زنكي ، ولكن أنا وضعت إضافات في الحوار ، أريدك أن تثبتها في جميع النصوص .

الزنكي : إضافات ، مرة ثانية !؟

فوزي : وثالثة ورابعة وعاشرة ، النص ليس قرآنا ، سنعدّل فيه حتى أيام العروض .

الزنكي : كما ترى يا باشا .

فوزي : زنكي ، يا زنكي ، نسيت أنك كنت تكتب النص كله ، من أوله لآخره حسب ارتجال الممثلين على المسرح في البروفات .

الزنكي (ضاحكًا) : صحيح ، أنت تعرف المسرح التجاري ونظامه في القاهرة يا باشا .

فوزي : إذن ، تحمد ربنا أنني احترمت نصك حتى الآن .

الزنكي : الحمد لله .

فوزي : نريد مشاهدة المشهد ١٨ ، استعدي يا أم زكي ..

* * *

(إظلام كامل للمسرح ، ثم إضاءة الركن الأيسر الذي به الديكور ، نرى غرفة مديرة المدرسة ، مكتب وكراسي وثيرة ، وأم زكي (إقبال) تجلس وراء المكتب ، تعلوها صورة الرئيس بإطار مذهب)

إقبال (مشغولة بأوراق أمامها توقّعها وتكلّم معلمًا أمامها) : أستاذ مكرم ، لماذا كانت اشتراكات فصول التقوية قليلة في الفصل الدراسي الأول ؟

مكرم (أحد الممثلين الشباب) : يا أبله إقبال ، أولياء الأمور على قدر حالهم ، والحياة صارت غالية ، الله يعين الناس .

إقبال (بطريقة رسمية) : يا أستاذ مكرم ، نحن عملنا فصول التقوية من أجل مصلحة الطلاب ، ورفع مستواهم العلمي ، بدلاً أن يذهبوا للدروس الخصوصية .

مكرم : صحيح كلامك .

إقبال : ومن يدرّس في الدروس الخصوصية ؟ موظفون في الصحة والبلدية ، معهم دبلومات زراعة وتجارة .

مكرم : عمومًا سنعمل كل جهدنا يا أبله في الفصل الدراسي الثاني .

إقبال : أريد نتيجة أفضل .

مكرم : إن شاء الله .

(يدخل فراش إلى المكتب)

الفراش : الشيخ عبد السلام موجود يا أبله المديرة .

إقبال (منتبهة) : أهلاً وسهلاً ، دعه يدخل ، أستاذ مكرم تفضل أنت لحصصك .

مكرم : بعد إذن حضرتك يا أبله .

(يخرج ، ويدخل الشيخ)

الشيخ عبد السلام : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

إقبال (متحركة من خلف المكتب) : وعليكم السلام يا عم الشيخ .

الشيخ : خيرًا يا أم يوسف .

إقبال : كل الخير . ماذا تشرب ؟

الشيخ : لا شيء .

إقبال : لدينا كاكاو لذيذ .

الشيخ : لا ، لا ، جزاك الله خيرًا .

إقبال : الموضوع ببساطة أن لدينا طلابًا لايدفعون مصاريف المدرسة ، وأنت تعلم أن مصاريف المدرسة شرط لدخول هؤلاء الطلاب الامتحان .

الشيخ : ولماذا لا يدفعون المصاريف ؟

إقبال : لأنهم فقراء .

الشيخ : ولكن التعليم مجاني في مدارس الحكومة .

إقبال : هذا زمان ، الآن ، لابد أن يدفع الطالب كل المصاريف .

(تقوم من مكتبها ، وتناوله ورقة)

إقبال : انظر يا عم الشيخ هذا الخطاب الوارد لنا من الوزارة .

الشيخ (ممسكًا الخطاب) : سري جدًا .

إقبال : نعم ، لأنه يخصني أنا فقط .

الشيخ (يقرأ) : آخر موعد لتوريد المصاريف المدرسية يوم ٢٣ فبراير ، ومن لا يسدد مصاريف المدرسة يحرم من الامتحان النهائي آخر السنة .

إقبال : أرأيت يا شيخ ؟

الشيخ : وما المطلوب مني يا أم يوسف ؟

إقبال : مساعدتنا في تسديد المصاريف من خلال الزكاة والصدقة .

الشيخ : والمبلغ المطلوب ، كم ؟

إقبال : ألف وثلاثمئة جنيه ، وعدد الطلاب ١١٢ .

الشيخ : والله حرام ، الحكومة تهتم بالرقص والغناء ، وتترك تعليم الأطفال ، فعلاً ، بلد فيه الراقصة أهم من العالِم .

إقبال : ما رأيك يا شيخ ؟

الشيخ : ماذا سأقول ؟ أمري لله سأطوف على أهل الخير ، لعل وعسى .

* * *

صوت فوزي : Stop . (يضاء المسرح كله)

(تصفيق من الحاضرين)

فوزي : شكرًا يا جماعة ، أداء حلو .

أم زكي : أستاذ زنكي ، أأنت متأكد من موضوع المصاريف هذا ؟

الزنكي : طبعًا ، وتأكدت بنفسي من أصحاب لي في التربية والتعليم .

أم زكي : هذه مصيبة ، ويكون كلام الشيخ مضبوطا .

فوزي (باحثًا) : أين حسين ؟

(همهمات بين الحضور ، يخرج حسين من خلف ستارة جانبية)

حسين (نافثًا دخان سيجارته) : أمرك يا باشا .

فوزي : جاهز لما طلبته منك ؟

حسين : نعم .

فوزي : ماذا كنت تفعل وراء الستارة ؟

حسين : أبدًا ، أدخن سيجارة .

فوزي : فقط .

حسين : فقط والله .

فوزي : أنهيت حفظ الدور ؟ لن تقرأ من ورق .

حسين : نعم . كنت أراجع الآن عليه .

فوزي : الدور جديد ، ولو أتقنته سيكون نقلة فنية لك .

حسين : إن شاء الله أعجبك .

فوزي : مشهد ٢١

(يتحرك الحاضرون ، فيما ينظم العمال الديكورات وهم يستمعون لتوجيهات مهندس الديكور ، يتخذ الممثلون أماكنهم خلف فوزي للمشاهدة، ويتحرك من سيؤدي الدور منهم)

فوزي : إضاءة وموسيقى .

(يرتفع صوت الموسيقى ، حزينة كموسيقى الجنائز)

فوزي : ابدأ ...

* * *

(إظلام كامل للمسرح ، ثم إضاءة الركن الأيسر الذي به الديكور ، نرى غرفة ضابط أمن الدولة ، وفيها حسين ضابط بملابس مدنية أنيقة ، يقف وبجواره أحد المخبرين ، بينما يوسف مرتكن إلى الحائط)

الضابط : تعبتنا يا يوسف كثيرًا .

يوسف : ما الموضوع ؟

الضابط : لماذا تهاجم الطلاب والطالبات في حرم الكلية ؟

يوسف : أنا لم أهاجمهم ، أنا أدعوهم إلى الخير .

الضابط (برقة) : يوسف ، أنا أحدثك بوصفي أخاك . ماذا ستأخذ من هؤلاء المتطرفين الذين تسير معهم ، لا شيء ، وستعرض نفسك وعائلتك للبهدلة .

يوسف : أنا لا أفعل خطأ .

الضابط (بحدة) : أنت تمارس أعمالاً ضد المصلحة العليا للوطن ، وتسير مع جماعات تريد قلب نظام الحكم ، وتمارس العنف .

يوسف : أي عنف ؟ هل تراني أحمل سلاحًا ؟

الضابط : أنا أصلي ، وزوجتي محجبة ، وأبنائي صالحون ، هل أنا كافر ؟

يوسف : لا أستطيع تكفيرك .

الضابط (منتصرًا) : إذن ، ما الفرق بيني وبينك ؟

يوسف : أنا أريد الإسلام نظامًا للحياة ، وأنت تريده طقوسًا وحركات .

الضابط : لا أفهم .

يوسف : أين الشريعة الإسلامية في حياتنا ؟ أين القيم في مجتمعنا ؟ انظر للخمر والدعارة والراقصات التي تتم بأموال الدولة . هل هذه حكومة تلتزم الإسلام ؟

الضابط : أنت إرهابي ومتطرف .

يوسف : اسمح لي أن أسالك بصراحة .

الضابط : تفضل .

يوسف : دعك من الشريعة الإسلامية ، هل ترضى عن الفساد الذي يملأ بلدنا ؟

الضابط : أي بلد فيها فساد .

يوسف : هل تعلم أن حجم المسروق من أموال البلد يكفي كي نعيش جميعًا سعداء ؟

الضابط : ليس عملي ، ولستَ وزيرًا للمالية .

يوسف : من يصلح هذه البلد ؟

الضابط : الحكومة تقوم بواجبها .

يوسف : أنا آسف ، لا فائدة من دعوتك .

الضابط : أنا أحدثك بالذوق ، لا تضطرني لإجراءات تجعلك تكره الدنيا.

يوسف : أعرفها ، تعذيب وضرب وإهانة .

الضابط : هل أنت مستعد لها ؟

يوسف : نعم ، ولكن سأقدم شكاوى في صحف المعارضة ومنظمات حقوق الإنسان .

الضابط : تهددني ؟

يوسف : أحافظ على حقي .

الضابط : يا غبي ، أبوك عضو في حزب الحكومة ، ويستطيع أن يجعلك تعمل في أحسن وظيفة .

يوسف : الدنيا فانية . ماذا تريد مني بالضبط ؟

الضابط : أنا لن أسألك مع من تسير ، أريدك أن تتعاون معي .

يوسف (هازئًا) : أن أعمل معكم عميلا ، مرشد لأمن الدولة على إخواني .

الضابط : ليس بهذا المعنى .

يوسف : لا ، أنت تقصد هذا ، نفس ما شاهدناه في فيلم الكرنك ، سعاد حسني تعمل جاسوسة مع المباحث .

الضابط : ألا تحرّم السينما ؟ ومشاهدة سعاد حسني والمخبر يغتصبها ؟

يوسف : السينما كالكأس ، الخمر فيه حرام ، والعصير فيه حلال .

الضابط : لا أريدك أن تعمل معنا ، هل من الممكن أن تمتنع عن خطبك الدينية وتحريضك للطلبة وكلامك في السياسة ؟

يوسف : هل أنا خطير لهذه الدرجة ؟

الضابط : أنا أعرف أباك ، خطيب درجة أولى ، وأنت ورثت المهنة منه .

يوسف : خطيب مهلل للنظام والحزب .

الضابط (بقرف) : حمار ، غبي ، اخرج " بره " .

* * *

صوت فوزي : Stop . (يضاء المسرح كله)

(تصفيق من الحاضرين)

فوزي : أحسنت يا حسين . (ينادي) مشهد ٢٥ ، أبو يوسف وأمه وأخواته البنات في الصالة .

* * *

(إظلام كامل للمسرح ، ثم إضاءة الركن الأيسر ، ديكور الصالة السابق)

إبراهيم (ثائرًا للغاية متوجهًا ليوسف) : يا ابن الكلب ، ستضيّع مستقبلي السياسي.

إقبال : اهدأ يا إبراهيم ، ما الموضوع ؟

إبـراهيم : بيـني وبـين مجلـس المحافظـة خطـوة واحـدة ، رشـحني الحـزب ، سأكون عضوًا في مجلس محلي المحافظة ، يعني ترقيت من مجلس محلي المركز إلى مجلس محلي المحافظة كلها .

إقبال والبنتان : مبارك عليك ، مبارك عليك يا بابا .

إبراهيم : هذا كان سيحدث لولا ابن الكلب هذا .

يوسف : وما دخلي أنا بالحزب والانتخابات ؟

إبراهيم : بعدما رشحني زكي بك شيحة عضو مجلس الشعب لهذا المنصب ، جاء أمين الحزب في المحافظة ، ورفض ترشيحي.

إقبال : لماذا ؟

إبـراهيم : قـال لي : المشـكلة ليسـت فيـك يا إبـراهيم ، المشـكلة في ابنـك ، ابنـك في الجماعـات الإسـلامية ، وهـو خطيـب وواعـظ لهـم ، يخطـب في المدرجات والمظاهرات .

إقبال (لابنها) : شفت يا يوسف ، خراب مستعجل منك علينا .

إبراهيم : وأقسمَ لي أمين الحزب أنه لولا أنه خائف علي وأنني خدمته كثيرا ، لكان الأمن اعتقلوك وعذبوك يا يوسف .

إقبال : ومنعوا ترشيحك من انتخابات مجلس المحافظة ؟

إبراهيم : نعم ، وابن الكلب هذا هو السبب .

يوسف : هذه حكومة فاسدة .

إبـراهيم : اتـرك الكـلام الفـارغ هـذا . سـؤال واحـد : معـي أم معهـم ؟ مـع أبيك أم مع المتطرفين الإرهابيين ؟

يوسف (بخشوع) : أنا مع الله .

إبراهيم : إذن ، أنت معهم يا ابن الكلب .

* * *

صوت فوزي : Stop . (يضاء المسرح كله)

(تصفيق من الحاضرين)

فوزي : (ناظرًا في ساعته ، ومصفقًا بيده ، بعد انتهاء التصفيق) : شكرًا يا جماعة ، واصلوا الحفظ والتدريب ، اقتربنا من الشكل النهائي من المسرحية ، المشاهد الباقية متصلة بممثلة القاهرة . (متوجهًا لعلي) ما أخبار بنت الـ ... ، الممثلة المشهورة ؟

علي : كل خير . والبروفة القادمة ستكون موجودة .

فوزي : لولا أنني أعمل مع مسرح خاص ، كنت رفضت الشغل معها من البداية .

(يغادر وهو يصفّر بشفتيه ، لحنًا خفيفًا)

(موسيقى مرحة تتجاوب مع اللحن الخفيف)

(إظلام)

المشهد الرابع

(منصة مسرح مجلس المدينة ، نفس الديكور ،كل الشخصيات السابقة ، قبل موعد بدء البروفات للمسرحية)

فوزي (مصفقًا) : حسين ، مشهد ٢٩ ، من أهم مشاهد المسرحية ، ولو أتقنته ، فعلاً لك جائزة مني .

حسين : تدربت عليه كثيرًا مع الزملاء.

الزنكي : وما الجائزة يا باشا ؟

فوزي : شيء عظيم جدًا .

الزنكي : عشاء مثلاً ؟

فوزي : عشاء مثل عشائك : سندويشات طعمية منقوعة في زيت بائت ، وبعدها شاي منهوك من مخلفات المقاهي ، وسهرة على النجيل بين السحالي والضفادع .

(ضحك من الجميع)

الزنكي : اتفقنا أن تكون المعاملة محترمة بيننا ، وأنت شفت مستواي في الكتابة .

فوزي : مستواك كان بتوجيهات مني ، وهل نسيت أنني اشتغلت تعديلات في المسرحية بالقلم الأحمر وراءك ؟

الزنكي : صحيح يا باشا ... أمري إلى الله .

علي : وما الجائزة يا باشا ؟

فوزي : الجائزة لكم جميعًا ، سأتوسط لكم لتنالوا عضوية نقابة الممثلين في القاهرة .

(أصوات فرحة)

أم زكي : وأنا معهم ؟

فوزي : أنت يا حبيبتي أولهم .

علي : كيف يكون هذا ؟

فوزي : المسألة بسيطة ، ومشكلة الممثلين هنا أنهم لا أحد يسأل عنهم ، وأنتم اشتغلتم في أعمال كثيرة في فرقة مسرح الأقاليم ومسرح مديرية الثقافة ومسرح الجامعة ... وأنا سأساعدكم لتكون آخر أعمالي السيئة .

أم زكي : الشر بعيد عنك يا باشا .

فوزي : لن أموت بعدها ، اطمئني ، نحن عائلة متجذرة في الأرض ، جدي مات وعمره ١٢٠ سنة . وأمي عمرها ٨٥ سنة ، ربنا يبارك فيها ، لكن سيكون هذا العمل آخر أعمالي في عالم الفن ، ثم أتوب إلى الله .

ممثل ٢ : ستعتزل يا باشا ؟

أم زكي : وهل ستلبس الحجاب ؟

فوزي : سأتوب عنكم جميعًا ، هذا حجابي .

أم زكي : وتترك قعدات الأنس معي ؟

فوزي : نعم ، سأصلي وأصوم .

أم زكي : والشيشة والمزة والمزاج الحلو .

فوزي : لا ، لا ... ، سآخذها معي وأنا أتعبد .

أم زكي :إذن ، صلّ على النبي واقعد جانب الحاجة في البيت .

(قهقهة من الجميع)

فوزي : مشهد ٢٩ ، استعدوا .

*　　*　　*

(إظلام كامل للمسرح ، ثم إضاءة الركن الأيسر الذي به الديكور ، نرى غرفة ضابط أمن الدولة ، وفيها الرائد (حسين) بملابس مدنية أنيقة ، ومعه عدد من الضباط ويبدون أقل منه رتبة ، في اجتماع)

الرائد : التعذيب لن يفيد مع يوسف وأمثاله .

ضابط ٢ : وماذا ترى مع أولاد الكلب هؤلاء ؟

الرائد : أفضل وسيلة مواجهة الفكر بالفكر .

ضابط ٣ : كيف ؟

الرائد : ألم نواجه المد الشيوعي في السبعينيات بالإسلاميين ؟

الضباط : صحيح ، حدث .

الرائد : نعيد التعامل بنفس الملف ، ولكن بالعكس .

ضابط ٤ : وهذا واقع بالفعل ، فالتيار المستنير مسيطر على جميع أجهزة الإعلام والثقافة .

الرائد : أتفق معك ، ولكن لديّ خطة عرضتها على الإدارة العامة ، وأبرز ما فيها إعادة تصحيح دور الشرطة مع الشعب ، فمبدؤها : دور الشرطة في نشر الاستنارة بين المتطرفين.

ضابط ٣ : فكرة جيدة ، كيف ؟

الرائد : أنا فكرت ، ووجدت أن العمل من القمة ثماره قليلة ، والأفضل العمل مع المتطرفين بشكل مباشر ، من خلال ندوات ومحاضرات وحوارات.

ضابط ٤ : أوافق على هذا الرأي ، وخاصة أن علاقتنا بالشعب ساءت نتيجة ممارسات بعض رجال الشرطة مع الناس .

الرائد: والأهم من ذلك تقارير منظمات حقوق الإنسان في مصر وخارجها، وتشنيعات صحف المعارضة .

ضابط ٢ : وهل سيكون ذلك مع المتطرفين داخل السجون أم خارجها ؟

الرائد : مع الكل .

ضابط ٣ : أرى أن نبدأ مع شيوخهم وزعمائهم .

ضابط ١ : أؤيد ذلك فالحوار مع الأعضاء لا جدوى منه ، فسرعان ما يتأثر بشيخه ويعود إلى ماكان يعتقد .

الرائد : وأنا أرى غير ذلك .

أصوات : ماذا ؟

الرائد : الشيوخ والزعماء كبار في السن ، وعددهم قليل ، والخطرون منهم في السجون والأخطر هاربون خارج البلد . ويبقى التأثير مع القيادات الشابة أو ما نسميه القيادات الوسيطة ، التي تفعّل الحركة والمظاهرات والاعتراضات .

ضابط ١ ، ٢ : كلام معقول جدًا .

الرائد : ماذا لو أخذنا عينة من الشباب القيادي من المتطرفين ؟ ونقوم بعملية إعادة توعية واستنارة فكرية له .

ضابط٣ : فكرة جديدة وجيدة .

ضابط ٢: تقصد إعادة تأهيل نفسي وفكري لهم ؟ يعني غسيل مخ .

الرائـد : مصـطلح غسـيل مـخ كـان أسـاتذتنا يسـتخدمونه في سـجون الستينيات مع المعارضين للنظام ، وهو أثبت فاعلية عندما كان مصحوبًا بالضغط النفسي والجسدي.

ضابط ١ : إذن ماذا تقصد بالتحديد ؟

الرائـد : إقامة حوار فكري مع تأثيرات نفسية على المتطرف ، فيبدأ في التغير النفسي ، وتتغير سلوكياته ، فتتغير نظرة باقي الشباب المتطرف له ، ويتهمونه بالتحلل ، وترك المبادئ ، ولو توسعت التجربة مع كثير من الشباب القيادي ، ستتخلخل هذه التنظيمات بشكل طبيعي ، دون مواجهة أو تعذيب أو سجون .

ضابط ٤ : فكرة طيبة وسلوك جديد لأجهزة الأمن .

الرائـد : وأرى أيضًا لو أننا استعنا بالعنصر النسائي في التأثير على هؤلاء الشباب ، ممن يعانون من جفاف عاطفي أو شهوة مكبوتة ، والنساء سلاح فتّاك .

ضابط ٢ : ومن المرشحون كي نبدأ معهم ؟

الرائد : اخترت شابًا قياديًا ، خطيبًا ، من زعماء المظاهرات في الجامعة ، وقد تخرّج من كليته العام الماضي ، وسجّل في الدراسات العليا بالكلية ذاتها .

ضابط ١ : من هو ؟

الرائد : يوسف إبراهيم .

ضابط ٤ : ابن إبراهيم أبو وافية ؟

الرائد : بالضبط .

ضابط ٣ : شخص واحد فقط ، ومن الممكن أن تنجح التجربة أو تخسر .

الرائد (متفكرًا) : هذا هو الحاضر في ذهني الآن .

ضابط ٣ : لابد أن تكون التجربة مع ثلاثة على الأقل ، حتى نتأكد من ثمارها .

الرائد : معقول .

ضابط ٤ : إذن ، تتشكل لجنة ، لترشيح اثنين آخرين ، وتبدأ العمل معهم.

الرائد : موافق ، ولنبدأ فورًا مع يوسف إبراهيم ، فأبوه أوصاني به ، ويتمنى أن يتخلص ابنه من التطرف .

ضابط ١ : وزكي شيحة نفسه ، أوصانا به ، وتعجّبَ كيف يكون ابن أحد أعضاء حزب الحكومة مع المتطرفين .

الرائد (منهيًا الاجتماع) : إذن ، نلتقي غدًا ، وأرى أن تقوموا بترشيح سيدة من المثقفات الجميلات كي تبدأ مع يوسف ، وأعطوني تقارير أولا بأول عن التطورات .

* * *

صوت فوزي : Stop . (يضاء المسرح كله)

(تصفيق من الحاضرين)

فوزي : معظم مشاهد المسرحية حتى الآن جيدة في الحفظ والأداء .

علي : أعلم المطلوب الآن يا باشا ، الممثلة المشهورة .

فوزي : وأين هي يا علي ؟

علي : تنتظر في غرفة مدير المسرح .

فوزي : ولماذا لم تحضر البروفات ؟ متكبرة من أولها ؟

علي : أبدًا يا باشا ، لقد وصلت من ربع ساعة من الفندق ، وكما تعلم فإن غرفة المدير مكيفة ، فأجلسناها فيه حتى تنهي – سيادتك – المشهد.

الزنكي : أين تنزل ؟

علي : في فندق آل عرفه .

فوزي : وقَبِلَتْ به ؟

علي : الفندق أربع نجوم ، وهو أفخم فندق في البلد الآن بعد تجديده .

فوزي (متسائلاً) : من هي يا علي ؟

علي : مفاجأة ، دلال ... دلال صادق .

فوزي (منقلب السحنة) : من ؟ دلال صادق !

علي : ظهرت أواخر الستينيات ثم اشتهرت في السبعينيات والثمانينيات ، أيام سينما حسن الإمام وسعد عرفه وسالم أمين ، ومسرح حسن عبد السلام ومدبولي وغيرهم .

فوزي (مبهوتًا) : الدنيا ضيقة .

(تدخل دلال صادق ، شديدة الأناقة ، ذات عطر فوّاح ، ومكياج خفيف ، ينم عن ذوق رفيع ، تتحرك بثقة ، تبدو أصغر من سنها المفترض ، يظن الناظر لها أنها على مشارف الأربعين ، وجهها خال من

التجاعيد ، دون شد صناعي ، وجسمها دون ترهلات الشحم ، تتعلق العيون بها ، بينما يصفق البعض من الشباب إعجابًا)

الزنكي : يا أرض احفظي ما عليكِ .

حسين (متقدمًا لها) : حسين عبد المولى ، أمين حزب السلام والتنمية في المحافظة .

علي : أهلاً وسهلاً بدلال هانم .

دلال (بهدوء وابتسامة) : أهلاً بكم .

علي (مشيرًا بيده) : المخرج الكبير الأستاذ فوزي أبو طالب ، مدير عام قصر ثقافة المحافظة ، ومخرج المسرحية .

دلال (تنظر لفوزي ، وتختفي ابتسامتها) : ...

فوزي (منتبهًا للموقف ، يقف ، ولا تزال سحنته متغيرة) : أهلاً يا دلال هانم .

دلال (بوجه ممتقع) : أهلاً يا أستاذ فوزي .

فوزي (متطلعًا لمن حوله ، ثم ناظرًا إليها) : كنت أتمنى أن تحضري من البداية لتري بعض بروفات المسرحية .

دلال (بثقة) : ظروف السفر منعتني .

علي : أهلاً وسهلاً بك ، محافظتنا نوّرت بحضورك .

فوزي (ناظرًا في ساعته ، ومكلمًا الحضور) : بروفات اليوم انتهت ، ونلتقي في البروفة القادمة ، وأتمنى من الجميع أن يواصلوا التدريب والحفظ ، فموعد الافتتاح بعد أسبوعين.

حسين : وقد طبعنا الإفيشات ، وبدأت الصحافة تنشر أخبارًا عنّا .

علي : وكل شيء جاهز ، الموسيقى ، والديكورات ، وحضرت دلال هانم، يعني الشغل كله تمام .

(يتحرك الحضور ، فيما تجلس دلال على كرسي فخم ، أحضره زكي ، ويجلس فوزي خلف مكتبه الصغير ، ينظر في أوراقه ، ثم ينظر إليها ، خلا المسرح من الممثلين ، وأشار علي إلى حسين أن يخرج)

علي : هل تأمرين بأي شيء يا دلال هانم ؟

دلال : شكرًا .

علي : فوزي باشا ، هل تأمر بشيء ؟

فوزي : أحضر فنجان قهوة لي (ينظر لدلال) وفنجان قهوة سكر زيادة لدلال هانم . ألا زالت قهوتك سكر زيادة يا دلال ؟

دلال (بنصف ابتسامة) : بدون سكر ، لأن عندي السكر .

فوزي : وأحضر نسخة من المسرحية .

علي : تحت أمركما .

(يخرج علي ، ويخلو المسرح)

فوزي : أنتِ كما أنت منذ ثلاثين سنة ، جمال وثقة .

دلال : وأنت كبرت وشعرك شابَ .

فوزي : الدنيا كلما تَباعدْنا تُقرّبِنا .

دلال : لم أتوقع أن أراك الآن .

فوزي : وأنا كذلك ، ولولا وجود الممثلين كنت سقطت على الأرض .

دلال (بحنان) : لماذا ؟

فوزي : عندما شفتك ، عاد الماضي كله أمام عيني .

دلال : ألم تنس يا فوزي ؟

فوزي : الماضي حي في نفوسنا ، لا نقدر على قتله ، ممكن أن يرتكن في القلب ، في العقل ، ولكن يطل علينا ليخرج لسانه ويحرّكه فيغيظنا .

دلال (ضاحكة) : ألم تترك الفلسفة التي صدّعتني بها زمان ؟

فوزي (يبادلها الضحك) : فلسفة زمان كفرت بها ، ولكن المشكلة أنها لم تكفر هي بي، تظل تضغط عليّ ،كلما أهرب منها تعيدني إليها .

دلال : لم أعد أفرق بين ماض وحاضر ومستقبل ، تشابهت الأيام عليّ ، حتى أصبح النهار مثل الليل .

فوزي (بحدة وألم) : وأنا ما زلت أدور في الماضي ، وهو يدور بي .

دلال : انسَ يا فوزي .

فوزي : منذ ثلاثين سنة وأنا أحاول النسيان ، ولكن لم أستطع ، وأنتِ ؟

دلال : نسيت .

فوزي (بحدة) : طبعًا ، زواجك من سبعة ، منهم ثلاثة أمراء خليجيين ، واثنان من رجال الأعمال ، واثنان من المخرجين ، أنسوكِ الماضي .

دلال : هل تتتبع أخباري ؟

فوزي : نعم ، أتتبع أخبارك .

(يدخل زكي بالقهوة ، ووراءه علي بنسخة من المسرحية)

فوزي (يقدّم الفنجان لها) : تفضلي يا مدام .

دلال (تأخذ الفنجان وترتشف في صمت) .

علي : أنا في الخارج يا باشا ، لو تحتاج أي شيء نادِ عليّ .

(يخرج علي ، وزكي)

فوزي (متسائلاً بابتسامة) : لماذا قبلتِ العمل في هذه المسرحية ؟

دلال (ضاحكة) : حزبكم عرض مبلغًا جيدًا بالنسبة لي كما أنني اشتقت لمسرح محترم، بدلاً من المسرح التجاري الذي أصبح كباريها .

فوزي (ضاحكًا) : غريبة ! أنت من نجمات الإغراء في المسرح التجاري ، وفي السينما.

دلال (بغضب) : كل مهنة لها طبيعة .

فوزي : ولها ثمن .

دلال (بهدوء وحكمة) : ولها ثمن ، وأنا قبلت دفع الثمن من سعادتي وراحتي وسمعتي ، وكان المقابل المال والشهرة .

فوزي (مواصلاً) : لم نعد نراكِ في السينما .

دلال : بصراحة ، ظهر من ينافسني ، وطبعًا السن معهن ، ولابد أن أقبل الابتعاد قليلاً حتى تأتيني الأدوار التي تناسبني .

فوزي (بشجن) : لن أنام الليلة ، ولا غدًا ... ، الماضي كله أمام عيني .

دلال : انسَ يا فوزي ، وعش حياتك . (برقة) ماذا لديك من أولاد ؟

فوزي (متطلعًا لها) : لم أتزوج ... من ساعتها (بضحك) تزوجت أم زكي بعض الوقت وتركتها .

دلال : من أم زكي ؟

فوزي : سترينها في المسرحية .

دلال (باحتراف) : يا سيادة المخرج ، ما دوري في مسرحيتك ؟

فوزي : ألم يخبرك علي ؟

دلال : كلام عام ، أريد تفاصيل .

فوزي (بابتسامة) : أنت ستقومين بشخصية منيرة في المسرحية ، وهي الشخصية المحورية الأساسية ، وتستطيعين أن تقرئيها ، ثم نتناقش بعدها .

دلال (تتناول النص ، وتقلب صفحاته) : إذن ، نتقابل غدًا .

فوزي (بشجن) : نتقابل أمس .

(إظلام ، مع موسيقى شجية)

الفصل الثالث

المشهد الأول

(ديكور شقة من شقق المساكن الشعبية في القاهرة ، الأثاث البسيط الشائع في أواخر سنوات الستينيات ، نرى فوزي : شابًا ، أسود الشعر، في السابعة والعشرين من عمره تقريبًا ، يجلس في الصالة ، يكتب على طاولة السفرة ، تأتي " دلال صادق " في سن أقل من العشرين عامًا ، يبدو وجهها ضاحكًا ، يعرض تلفزيون صغير – أبيض وأسود – أغنية لعبد الحليم حافظ ومطلعها :

ابنك بيقولك يا بطل هات لي انتصار ابنك بيقول لك يا بطل عدي انكسار

ومن الممكن تقديم هذا المشهد عبر شاشة عرض سينمائي ، إمعانًا في انتقال المتلقي إلى زمن آخر)

دلال : ألم تنتهِ يا فوزي من العمل ؟ أنا نعسانة .

فوزي : هل نام الولد ؟

دلال : نعم . ماذا تفعل ؟

فوزي : أراجع النص قبل أن أبدأ في تدريب الممثلين عليه غدًا .

دلال : لا أعرف ماذا يعجبك في فرقة " شباب ناصر "؟

فوزي : فرقة جادة ، والنص قوي .

دلال : ورفضتَ إخراج مسرحية لفرقة ثلاثي أضواء المسرح ؟

فوزي : أنا صاحب رؤية فنية ، وملتزم بفكر الثورة .

دلال (ضاحكة) : فكر الثورة سقط في هزيمة يونيو ٦٧ .

فـوزي (بغضـب) : لم يسـقط ، بـل انـتكس ، وسـيعود أقـوى ، ناصـر موجود ، لو تأتين لاجتماعات منظمة الشباب ، ستعرفين أن الدولة بخير ، والشباب بخير .

دلال : كله كلام في كلام ، ووراءه مصالح لناس أنت تعرفهم .

فوزي : لا ، العمل جاد ، وهم يريدون تكوين كوادر للبلد ، فنية وثقافية وسياسية ، لذا أنا معهم ، وأؤيد مشروعهم .

دلال (تتثاءب) : أنا نعسانة يا فوزي ، هيا ننام .

فوزي : الساعة الحادية عشرة ، الوقت مبكر .

دلال : عندي محاضرات في المعهد في الساعة الثامنة صباحًا .

فوزي : وكالعادة ، تخرجين وتتركين الولد لي .

دلال : أم فضل ستأتي مبكرة .

فوزي : متى ستنتهين من المعهد ؟ تعبت من غيابك طول النهار عني .

دلال : لا تـنس أنـك الـذي شـجعتني علـى دخـول المعهـد ، أنـت الـذي اكتشفت موهبتي في التمثيل ، وشجعتني .

فوزي : أنا مؤمن بموهبتك يا دلال ، ولكن أشعر أن البيت يحتاجك .

دلال : أنـت تحـدّيت أهلـي ، وتـزوجتني عـن حـب ، وعاهـدتني أن تقـف معي للنهاية .

فـوزي (بصـدق) : تحـديت أهلـك وتحـديت أهلـي ، أمـي رفضـت زواجنـا ...

دلال (مقاطعة) : تريد أن تزوجك من ابنة إحدى العائلات العريقة الغنية ، ولكن أنا من عائلة محترمة ، ولست من الشارع ، بدليل أن أبي عـارض

الزواج منك خوفًا عليّ من الفن والمسرح ، وخوفًا على سمعتنا ، وهو يقاطعني الآن ، وكلما زرتهم ، لا يتكلم معي .

فوزي : حبيبتي ، أنا وأنت من جيل الثورة ، الذي يساوي المرأة بالرجل ، ويدفع المرأة للإبداع .

دلال : وهذا ما أعجبني فيك ، إيمانك بحقوق المرأة وقدراتها .

فوزي : دلال ، سأكون مشغولاً ببروفات المسرحية في الأيام القادمة ، ولابد أن أنهيها خلال أسبوعين أو ثلاثة ، لأنها ستعرض أمام الوزير في احتفالات عيد الثورة .

دلال : عادي ، أنا معتادة على هذا .

فوزي : أتمنى أن تقلّي من خروجك ، وتتفرغي للبيت .

دلال : أترك المعهد ؟

فوزي : لا ، وإنما احضري المحاضرات المهمة فقط ، وارجعي مبكرًا ، فأنا لا أطمئن على الولد إلا بين يديك .

دلال : أم فضل طيبة ، وأنا أريد أن أقوّي علاقاتي مع الأساتذة والزملاء .

فوزي (متعجبًا) : لماذا ؟

دلال : أنت تعلم أنهم يعملون في السينما والمسرح والتلفزيون ، ولهم علاقات واسعة ، ستفيدني .

فوزي : تفيدك في ماذا ؟ أنا موجود ، وأساعدك .

دلال : مهما كنت ، علاقاتك ليست مثل علاقة الأساتذة ، وعلاقاتك تقف عند فرق الشباب ، وعلاقاتي ستفيدك وتفيدني .

فوزي (بضيق) : أنا غير مرتاح .

دلال : نجاحنا مشترك ، وكل واحد منا يقوّي الآخر . لا تنس أن من شعارات الثورة المرأة نصف المجتمع ، وصانعة نجاح الرجل .

فوزي : لم أنس ، ولكن ابني أهم من أي نجاح ، وأنا تعبت مع الخادمات ، كلهن مهملات ، لا أحد يعوّض الولد عن أمه .

دلال : هيا يا " رجعي " إلى النوم .

فوزي (يطوي أوراقه) : هيا بنا ، (متذكرًا) لقد أعطيتك دورًا في هذه المسرحية ، وأريدك أن تحفظيه وتتدربي عليه .

دلال (ضاحكة) : غير موافقة .

فوزي : لماذا ؟

دلال : البيت أهم ، وسأغيب عنه فترات طويلة ، ابحث عن ممثلة أخرى .

فوزي : لا تستطيع واحدة أن تحل محلك ، في نظري .

دلال (بدلع) : والبيت والولد ؟

فوزي (مبتسمًا) : أمري إلى الله ، أنا مكتشفك ، وعليّ أن أتحمل مسؤولية هذه الغلطة.

دلال : هذه هي المرة الخامسة التي أقف أمامك فيها .

فوزي : وأتمنى أن تقفي أمامي في المرة المئة .

دلال : أنت صانع نجاحي .

فوزي : بل أنت السبب في نجاحي ، لن أنسى أن اسمي صعد في فرق منظمة الشباب وفرق وزارة الثقافة ، لأنه مرتبط بك ... وبجمالك .

دلال (متثاءبة) : أحبك بلا حدود .

فوزي : وأنا كذلك .

(ينهي عبد الحليم حافظ أغنيته ، فيما يكون إظلام المسرح)

* * *

(نفس الديكور السابق ، ونرى فوزي جالسًا على أحد كراسي الأنتريه، ينفخ في قرف، فيما تجلس " أم فضل " خادمة متقدمة في السن معه، تحمل الولد)

فوزي (ينظر في ساعته) : دلال تأخرت . (يردف) الساعة الآن السابعة مساءً ، وموعدها الساعة الخامسة .

(يقوم ، يتمشى في الصالة ، يضغط على زر التلفاز ، الذي يرتفع صوته بأغنية: غريب الدار عليّ جار زماني القاسي وظلمني ...

مشيت سواح مسا وصباح ،

أدوّر ع اللي راح مني ، أدوّر ع اللي راح مني ، غريب ، غريب الدار ...)

يردد الأغنية بشجن .

فوزي : اشتقت للبلد .

(ينفتح باب الشقة ، وتدخل دلال)

دلال (لفوزي) : حبيبي تأخرت عليك . (ثم تتجه للولد ، تحمله وتقبله، وهي تتحسسه ، ثم تقول للخادمة) هل أرضعتيه ؟ صدره مبتل ، هاتي غيار بسرعة .

(تتحرك الخادمة إلى غرفة)

فوزي : لماذا تأخرتِ ؟

دلال : حبيبي ، المحاضرات آخرها الرابعة والنصف .

فوزي : إذن موعدك هنا الساعة الخامسة .

دلال : أعددت لك مفاجأة ، لو سمعتها ستعذرني .

فوزي (بضيق) : لا أريد مفاجآت ، لم أتغذَ حتى الآن .

دلال : لماذا لم تأكل ؟ لماذا تنتظرني ؟ سأسخّن الغذاء.

فوزي : تعلمين أنني لا أحب أن آكل بمفردي .

(تسرع دلال للمطبخ)

فوزي (يرفع صوته بغضب) : لا رغبة عندي ، كلي أنتِ .

دلال (برقة من داخل المطبخ) : ألن تأكل معي ؟ إنني جائعة .

فوزي (يبتسم) : ....

دلال : هاه ، إنني جائعة ، وأنا مثلك لا أحب الأكل بمفردي ، هل تتركني أنام جائعة .

فوزي (يبتسم بعطف) : سآكل ، سآكل .

دلال : هل أنت جائع ؟ أم تجاملني ؟

فوزي : جائع ، جائع .

(تأتي الخادمة بغيار للطفل ، وتشرع في تبديل ثيابه ، فيما تحضر دلال أطباق الطعام وترصّها على الطاولة ، ثم تجلس)

دلال (تنظر للخادمة) : اذهبي أنت يا أم فضل لعيالك ، تأخرتِ اليوم عنهم .

(تحمل الخادمة كيسًا في يدها ، متجهة نحو باب الشقة ، ثم تغادر ، مغلقة الباب خلفها)

دلال (تأكل ملعقة أرز) : مفاجأة حقيقية ؛ دور في فيلم سينمائي .

فوزي (يضع لقمة في فمه) : سينما ! هذا ما توقعته !

دلال : هل غضبت ؟ إنها فرصة لي .

فوزي : أبدًا .

دلال : قدمني زميل لي إلى مخرج ، وكان اليوم موعدنا معه ، ولما رآني رشحني للدور .

فوزي : من المخرج ؟ وما اسم الفيلم ؟

دلال : سالم أمين ، والفيلم اسمه البنات والصيف .

فوزي : وما دورك ؟

دلال : طالبة ضمن مجموعة طالبات ، تسافر معهن إلى إسكندرية في رحلة تابعة لمعسكرات الشباب .

فوزي : وطبعًا قصص حب على الشاطئ ، ومايوه من قطعتين .

دلال : توقعت هذا السؤال ، ولكن أحب أن أطمئنك ، دوري ثانوي ، كل الموضوع أنني واحدة من عشر فتيات ، وسأظهر ببنطلون وفانلة فقط ، يعني أكمّل العدد .

فوزي (ضاحكًا) : كومبارس ؟

دلال : كل المسألة خمسة مشاهد ، و ١١ جملة . وأنا طلبت الحشمة ، ووافق المخرج .

فوزي (يضحك) : وأنا موافق ، سالم أمين محترم ، أعرفه .

دلال : حبيبي ، أنا لن أغضبك أبدًا .

فوزي : وأنا مؤمن بكِ ، وأعرف حجم موهبتك .

دلال : وهذا ما أحببني فيك ، وتزوجتك من أجله .

(ينتبهان على صوت كحة وعطس من الطفل ، تسرع له دلال)

دلال : الله يسامح أم فضل ، تركت الولد مبلول الصدر .

فوزي (بقلق) : وماذا ستفعلين ؟ هل آخذه للطبيب ؟

دلال : بسيطة ، سأعطيه دواء الآن . اطمئن ، هكذا الأطفال .

فوزي (منهيًا طعامه) : أسرعي بالدواء والشاي .

دلال : بسرعة ، بسرعة كل شيء .

(يُظلَم المسرح ثم يضاء)

(نفس الديكور السابق ، تجلس الخادمة حاملة الولد ، الذي يبكي بكاء متقطعًا ، مصحوبًا بسعال خفيف ، ويجلس فوزي على الطاولة يقرأ في كتب وأوراق ، تأتي دلال مرتدية ملابس الخروج)

فوزي (**متطلعًا لها**) : هل أنت مصممة على الخروج ؟

دلال : لابد يا فوزي .

فوزي : أنا غير موافق ، إنني قبلت أن تعملي في فيلم البنات والصيف ، لأن مشاهده قليلة، ما الداعي لأن تشتركي في فيلم جديد ؟

دلال : يا حبيبي ، تتكلم وكأنني فنانة مشهورة ، أنا فنانة صغيرة ، ولابد أن أشترك في أعمال كثيرة حتى يعرفني المنتجون والمخرجون والجمهور .

فوزي : هذا أول طريق الشهرة .

دلال : وأنت كذلك ، صرت مشهورًا ، أنت من ألمع مخرجي المسرح الآن في كل مسارح الدولة .

فوزي (بفخر) : أنا موهوب في الإخراج يا دلال ، وكل هذا بجهدي ، لكن أن تعملي في فيلمين في وقت واحد ولديك المعهد ، وبيتك وابنك ..هذا لا أقبله .

(يعلو سعال الطفل)

دلال : لماذا قبلت أن تخرج مسرحية لفرقة مسرح التلفزيون ؟

فوزي : هذا عملي ، وأنا أريد أن أصعد .

دلال (بدلع) : فقط بمفردك ، ألم نتفق أن نكون معًا في كل شيء ، وفي كل نجاح .

(يعلو صوت سعال الطفل)

فوزي : الولد مريض ، اعتذري عن التمثيل اليوم .

دلال : لا أقدر ، والطبيب قال إنها نزلة برد في صدره .

فوزي (يقف) : سأخرج الآن ، لدي موعد في الاتحاد الاشتراكي ، واحتمال أن أتأخر.

دلال (تسير بجانبه لباب الخروج) : سأنهي التصوير ثم آتي على الفور ، إلى اللقاء يا حبيبي

(يُظلَم المسرح ثم يضاء)

(نفس الديكور السابق ، الخادمة حاملة الولد ، تتمشى به في الصالة ، وسعاله لا ينقطع ، يقدم فوزي من الخارج)

فوزي (يسمع سعال الولد) : ألم تعطه الدواء ؟

الخادمة (تحني رأسها) .

فوزي (بضيق) : هات الولد . (يحمله) الدواء غير نافع معه ، سأذهب به لطبيب كبير.

(يُظلَم المسرح ثم يضاء)

فوزي (عائد من الخارج ووراءه دلال) : الحمد لله ، الطبيب طمأننا ، ولكن الكحة تغيظني .

دلال : إنها مسألة وقت يا حبيبي .

فوزي : الولد له ثلاثة أسابيع لا يكف عن الكحة ، في النوم واليقظة .

دلال : كل الأطفال هكذا .

فوزي : لا تخرجي اليوم ، لابد أن تبقي معه ، أنا لا أثق في الخادمة .

دلال : ورائي ..

فوزي (بعصبية) : تغيبي اليوم ، لا مجال ..

دلال : الولد لا يحتاجني ...

فوزي : قلت لك ، لا أتحمل الكحة ، أنت تعرفين مدى حبي للولد .

دلال (بقرف) : سأبقى ...، من أجلك .

فوزي : لا ، لكن من أجل هذا المسكين ، الذي لا يرانا إلا ساعة الغذاء في الظهر ، وطول النهار مع الخادمة .

دلال : سأبقى ... ، سأبقى .

(يُظلَم المسرح ثم يضاء)

(سعال الطفل عالٍ ، لا يتوقف)

فوزي (قادمًا من الخارج ، متوجهًا للخادمة) : أين دلال ؟

الخادمة : .... (مشغولة بتنظيف الولد)

فوزي (بعصبية) : خرجتْ كالمعتاد ، ألا تريد أن تبقى مع ابنها يومين أوثلاثة ، ماذا سيحدث للدنيا ، وللسينما .

فوزي (ينظر في ساعته) : تأخرتُ عن البروفات .

(سعال الطفل عالٍ ، لا يتوقف)

فوزي : ماذا أفعل ؟ سأتصل بهم وأعتذر .. (للخادمة) سأذهب به للطبيب .

(يحمل الطفل ، ويغادر الشقة)

(يُظلَم المسرح ثم يضاء)

دلال (بعد عودتها من الخارج ، تحتضن ابنها) : حبيبي ، غير معقول .

فوزي : الولد لديه ربو .

دلال : الطبيب السابق قال إنها نزلة برد.

فوزي : ربو ، ربو ... ، وهذا يحتاج لعنايتنا ، أنا وأنتِ .

(سعال الطفل عالٍ ، لا يتوقف)

فوزي : اتركي كل شيء ، المعهد ، والمسرح ، والسينما ، تفرغي لابنك .

دلال : أعطه الكمام ،كما قال لك الطبيب ، وسيشفى إن شاء الله .

فوزي (يحمل الطفل للخارج) : اجلسي الآن ، وسأذهب للمستوصف وأعطه الكمام ، لا تخرجي .

دلال : اليوم لا أقدر ، لدي مشهد واحد وسأعود .

فوزي : لا ، لا ... لا تخرجي .

دلال : ساعة واحدة وأعود ... أرجوك ، سيحضر التصوير اليوم حسن الإمام ، يريد أن يشاهدني ، في البلاتوه .

فوزي : لا ، لا ... (يخرج حاملاً الطفل) (تخرج دلال بعده)

(يُظلَم المسرح ثم يضاء)

(سعال الطفل عالٍ ، لا يتوقف ، ويشتد أكثر)

فوزي (يصرخ) : السعال أصابني بالصداع .

(ينظر للخادمة التي تحمل الطفل)

فـوزي : مـاذا أفعـل كـي أعالجـه ؟ السـعال يجنـني . أيـن دلال ؟ خرجـت كالمعتـاد ، تـترك المسـكين هـذا وتخـرج ، (يحمـل الولـد) مسـكين يا بـني ، حرمتك أمك من لبنها الطبيعي ، وحرمتك من الدفـء ، وألقيتك في أيدي الخادمة .

فوزي (يهز الطفل) : مستعد أن أعطيك عمري كله ، المهم أن تشفى ، لا تعلم كم أحبك ، يارب الشفاء منك ، عاقبني واشفه .

(سعال الطفل عالٍ ، لا يتوقف ، ويشتد أكثر)

(يُظلَم المسرح ثم يضاء)

(فوزي قادمًا من الخارج)

فوزي (يسمع) : معقول ! هل نجح الكمام في شفاء الولد . الحمد لله .

فوزي (متحركًا في الصالة) : أين هو ؟ أم فضل ، أين أنتِ ؟ أين الولد ؟ أم فضل ، أم فضل .

(تأتي الخادمة حاملة الولد ، الولد لسانه متدلٍ ، مفتوح العينين ، دون صوت)

فوزي (يحاول الصراخ) : .... **(وهو يحمل الطفل)**.

المشهد الثاني

(منصة مسرح مجلس المدينة ، حيث نرى دلال (منيرة) ويوسف ، دلال أنيقة ، تبدو في مطلع الثلاثينيات من العمر ، محجبة بزي أسود يشابه الحجاب الخليجي ، ودون مساحيق ، الديكور يشير إلى أنهما واقفان بجانب سور الجامعة ، يوسف مستند إلى الحائط ، يطالع مجلة، تأتي له " منيرة " ، من الممكن تقديم المشاهد عبر تقنية الضوء المسلط على جزء من مسرح ؛ نظرًا لتعدد الديكورات)

منيرة : السلام عليكم .

يوسف : وعليكم السلام .

منيرة : حَضْرتُك أستاذ يوسف ؟

يوسف (دون أن ينظر إلى وجهها) : نعم ، يا أختي .

منيرة : أنا زميلة معك في الدراسات العليا .

يوسف : ولكنني لم أرك من قبل .

منيرة : لقد جئت أمس فقط .

يوسف : أهلاً يا أختي ، أي خدمة مني ؟

منيرة : نعم ، فأنا عائدة من السفر من إحدى دول الخليج ، وكما تعلم فإن الدراسة بدأت منذ شهرين ، وأحتاج لمن يساعدني فيها .

يوسف : ولماذا جئتِ لي أنا بالذات ؟ هناك زميلات معنا !

منيرة (مبتسمة) : أترفض حضوري لك ؟

يوسف : أبدًا ، مجرد سؤال .

منيرة : لأن الزميلات قلن لي إنك أكثر الطلاب والطالبات حضورًا ، وأنك متفوق في الدراسة جدًا .

يوسف : جزاكِ الله خيرًا يا أختي ، على هذا الثناء .

منيرة : أنا أريد المراجع التي ذكرها الأساتذة في محاضراتهم ، كما أريد تصوير دفاتر المحاضرات ، وأتعرف على قائمة الأبحاث المقررة .

يوسف : كل هذا ؟! سأحاول أن أحضرها لك .

منيرة : اليوم ؟

يوسف : ليست معي الآن ، وهي كثيرة ، سأجهزها لكِ .

منيرة : إذن ، متى آخذها منك ؟

يوسف : غدًا .

منيرة : هنا ، في هذا المكان .

يوسف : سأتركها لكِ عند الأستاذة فاطمة ، الموظفة في الدراسات العليا .

منيرة : لماذا فاطمة بالتحديد ؟

يوسف (بحياء) : إنها على صلة قرابة معي ، وكل الزملاء يعرفون ذلك ، وهي مسؤولة عن تخصصنا في إدارة الدراسات العليا .

منيرة (تهز رأسها متفهمة) : شكرًا لك يا أستاذ يوسف ، (تنظر للمجلة التي في يده) ولكن اسمح لي أن أسألك : لماذا تقرأ هذه المجلة ؟

يوسف (متعجبًا) : وهل هناك حظر عليها ؟ إنها مجلة فكرية وسياسية .

منيرة (تبتسم) : لا ، ولكن ظننت أن الشباب الآن لا يهتمون بهذه الأمور ، هم يهتمون بالغناء والرقص والقفز فقط .

يوسف : كلامك صحيح ، ولكنني أختلف عن هؤلاء .

منيرة : يبدو أنك أكبر من سنك ؟

يوسف : لا ، ولكنني ملتزم دينيًا ، والتزامي يفرض عليّ أن أتحلى بسلوك خاص .

منيرة : فلا تتحدث مع الفتيات .

يوسف : لا أقصد ، ولكنني أحب الثقافة والفكر والسياسة لأن ديني يحثني على ذلك .

منيرة : وأنا أؤيدك يا أستاذ يوسف ، فأكثر ما يضايقني ما يفعله الشباب مع الفتيات في الجامعة ، وكأنهم في كازينو ، ولا يهتمون بالعلم .

يوسف : نعم ، وهذا ما أرفضه (منهيًا الموقف) اسمحي لي فعندي موعد الآن .

منيرة : لا تنس ما طلبته منك يا أستاذ يوسف .

(يظلم المسرح ثم يضاء)

(نرى يوسف جالسًا في مكتبة الكلية ، حيث تلمحه منيرة فتأتي له)

منيرة :السلام عليكم ، كيف حالك يا أستاذ يوسف ؟

يوسف (يقف مرتبكًا) : أهلاً يا أختي . وعليكِ السلام ورحمة الله وبركاته .

منيرة : بحثت عنك في كل مكان ، وسألت عنك ، فقالوا لي إما أن تكون في المسجد أو في المكتبة . فقلت أذهب إلى المكتبة ، وأرى حظي .

يوسف : أهلاً يا أختي .

منيرة : هل تسمح لي بالجلوس ؟ (تجلس) أشكرك على مساعداتك العلمية لي .

يوسف (بارتباك) : أخشى أن يفهم البعض جلستك معي خطأ .

منيرة (بضيق) : ماذا تقصد يا أستاذ يوسف ؟

يوسف : آسف لو أغضبتك ، الحياة الجامعية فيها كلام كثير ، ومن الممكن أن يفهم بعض الطلاب الأمر خطأ .

منيرة : لن يفهموا الأمر بأي شكل ، لأنني أكبر منك سنًا ، وأنت مثل أخي الأصغر ، والكل يعرف أنني سيدة متزوجة .

يوسف : متزوجة ؟

منيرة : نعم ، وزوجي يعمل في الإمارات العربية المتحدة .

يوسف : ولماذا تركتيه وجئتِ إلى مصر ؟

منيرة (متنهدة) : مشاكل ، وكنت أرغب استكمال دراساتي العليا .

يوسف : ولكن كيف قبلوك بعد مضي شهرين من بدء الدراسة ؟

منيرة : والدي قدّم أوراقي منذ عطلة الصيف ، وبالمناسبة ، فإنني أتقدم كل سنة إلى الدراسات العليا ولا أستمر فيها ، بسبب سفري .

يوسف : وماذا حدث هذا العام ؟

منيرة : لما اشتدت الخلافات مع زوجي ، تركته وعدت إلى مصر ، وكتبت التماسًا لعميد الكلية أن يتم التغاضي عن نسبة غيابي فقبل الالتماس .

يوسف : كل هذا بسبب الدراسات العليا ؟

منيرة : كنت الأولى على دفعتي في الكلية منذ أكثر من عشر سنوات ، وعينت معيدة في الكلية ، فلما تزوجت ، قدمت استقالتي من الكلية ، وفضلت الزواج ، ولكن الزوج لم يقدّر تضحياتي ...

يوسف : الدراسات العليا أهم عندك من الزواج والأسرة ؟

منيرة : لا تفهمني خطأ ، لا شيء يعوّض الأسرة والاستقرار ، ولكنني كنت مع زوج أناني جشع ، لا يفكر إلا في المال ، ويتعامل معي كأنني خادمة ، بالرغم من أنني من أسرة ميسورة ماديًا ، ولا يعترف بعقليتي . وكنت أعمل هناك مدرّسة ، فكان يريد أن يأخذ كل راتبي، هل هذا من الشرع ؟

يوسف : بالطبع لا ، الإسلام أكرم المرأة ، وجعل لها ذمة مالية خاصة بها، ولكن كيف تتركين أولادك وتأتين لمصر ؟

منيرة : أصارحك يا أستاذ يوسف ، إنه لا ينجب ، وأنا رفعت عليه قضية خلع ، وكسبتها منذ أيام والحمد لله ، وقد سافرت لأقدّم استقالتي من التدريس هناك ، وعدت لأبني ذاتي علميًا من جديد ، وهذا حقي دينًا .

يوسف (متأثرًا) : نعم حقك ، ولكن تركت العمل هناك والراتب الكبير؟

منيرة : أصبحت أكره المال ، بسبب ما رأيته من زوجي : جشع ، وأنانية.

يوسف : بارك الله فيك يا أختي .

منيرة : أريد أن أستوضح منك عن بعض الموضوعات المقررة في المنهج .

يوسف : قولي لي ما هي هذه الموضوعات ، وأرشدك لمراجع بسيطة .

منيرة :مراجع ! أريدك أن تشرحها لي .

يوسف (بخجل) : أختي ، لقاؤنا وجلستنا معًا خطأ . واسألي زميلاتنا في الدراسة .

منيرة : لسنا في خلوة ، وأنا لاحظت أنك مؤدب ومتدين ، ومتفوق علميًا ومنظم كما رأيت في دفاترك .

يوسف : ..... (يطرق صامتًا) .

***

(يقف بعيدًا عنه : طلاب ملتحون يتهامسون)

طالب ١ : ما بال أخينا يوسف يحادث النساء ؟

طالب ٢ : التمسوا العذر له ، إنها زميلة في الجامعة ، ومعه في الدراسات العليا .

طالب ٣ : مهما يكن ، فلا يجب أن يختليا في المكتبة ويتكلما بهذه الطريقة .

طالب ٢ : ليست خلوة مرفوضة ، فهي أمام الناس .

طالب ١ : الأخ الملتزم قدوة ، ولابد أن يتجنب هذا .

طالب ٣ : النساء شيطانات ، لن تستطيع أن تغض بصرك عنهن وأنت تحادثهن .

***

منيرة : نجلس في المكتبة ، وأرجو أن تقدّر ظروفي ، وتساعدني ، فأنت مثل أخي الأصغر وأنا لا أكذب عليك ، فأنا أكبر منك سنًا .

يوسف (بخجل) : ولكن ...

منيرة (مبتسمة) : لا يوجد لكن ، أراك غدًا هنا .

(يظلم المسرح ثم يضاء)

(المكتبة ، يوسف ومنيرة جالسان)

يوسف : أتمنى أن تكوني قد استوعبتِ ما قلته .

منيرة : نعم ، استوعبته جيدًا ، وشرحك جميل .

يوسف (ينظر حوله) : نكتفي بهذا اليوم ، ونكمل بعد ذلك .

منيرة : ألا زلت على موقفك ؟

يوسف : يا أختي ، قدّري موقفي ، أنا كنت أحارب الطلاب الذين يخالطون الفتيات .

منيرة : يخالطونهم بسلوكيات سيئة ، أما نحن ففي مجلس علم ، أستاذ يعلم طالبته ، وهذا لا شيء فيه ، كما أنني ممكن أن أحاضرك في السياسة ، فأنا قارئة سياسية من الدرجة الأولى .

يوسف : صحيح ؟ ما توقعت هذا !

منيرة : نظرتكم أيها الملتزمون عنا أننا ناقصات عقل ودين .

يوسف : ليس بهذا المعنى ، فهناك في تراثنا نساء عالمات بالشريعة .

منيرة (تكمل) : وكنّ يدرسن الرجال في المساجد ،وكنْ أكثر قبولاً للمسألة يا أستاذ يوسف ، والرسول (ﷺ) كان يحادث النساء في الشوارع والمساجد وكذلك الصحابة ، العبرة بالقلب .

يوسف : كلام مضبوط .

منيرة : ألن تحاضرني يا أستاذي في موضوع آخر ، حتى نستغل الوقت .

يوسف (مبتسم) : ... ممكن . (يتهامسان)

***

(تقف فتيات متبرجات في جانب آخر من المكتبة)

فتاة ١ : الشيخ يوسف يحادث منيرة ، ويبدو أنها علاقة غرامية بصبغة دينية .

فتاة ٢ : هؤلاء شيوخ مودرن .

فتاة ٣ : ولكن يوسف صدّع رؤوسنا بالالتزام ، وعدم الاختلاط .

فتاة ٢ : لولا هذا الموقف ، لكنت لبست الحجاب ، فيوسف أثّر فيّ كثيرًا بكلامه ومحاضراته في المدرجات .

فتاة ٣ : أنت معجبة به منذ زمن .

فتاة ٢ : شاب شيك ومهذب ومتدين .

***

منيرة : أشكرك يا يوسف ، لقد أوضحت القضية تمامًا لي .

يوسف : لا شكر على واجب ، وتحت أمرك يا أختي في أي أمر .

منيرة : أتركك الآن على لقاء قريب .

(يظلم المسرح ثم يضاء)

(مجموعة الشباب الملتحين يقابلون يوسف في المكتبة)

شاب ١ : يا أخ يوسف الدين النصيحة .

يوسف : وما نصيحتكم ؟

شاب٢ : اختلاؤك بهذه الزميلة خطأ ، ويشوّه صورتك لدى الشباب الملتزم ، وجموع الشباب .

يوسف (محمر الوجه) : هي زميلة ، وأقابلها في مكان عام ، وهذه ليست خلوة منهي عنها كما تعلمون .

شاب٣ : يا يوسف ، ممكن أن نلتمس العذر لك ، ولكن هل تضمن أن تغض بصرك وأنت تحادثها ؟ الأمر فيه محاذير شرعية عديدة كما تعلم .

شاب٢ : نحن نقصد نصحك ، ولا نريد إحراجك ، اقطع علاقتك بها .

شاب١ : لا يوجد ما يربطها بك ، خطبة أو عقد ، لماذا تترك الأقاويل عنك ؟ اجتنب الشبهات ، واعتذر منها برفق ، الكل يتحدث عنك .

يوسف : أعدكم ، وجزاكم الله خيرًا .

(يظلم المسرح ثم يضاء)

(في المكتبة)

يوسف (واقفًا) : أختي ، نصحني الإخوة أن ...

منيرة (مقاطعة) وصلني الكلام من الزميلات ، إننا في مجتمع لا يرحم .

يوسف : آسف لن أستطيع ...

منيرة : أنا الآسفة ، وضعتك في موقف حرج .

يوسف : أتمنى الخير لكِ .

منيرة : قبل أن تنصرف ، هل من الممكن أن أطرح سؤالاً عليك ؟

يوسف : تفضلي .

منيرة : هل لديك ارتباط عاطفي مع فتاة ؟ قصدي هل تستعد للزواج ؟

يوسف (شديد الخجل) : لا ، لماذا ؟

منيرة : أنا ملتزمة مثلك ، وهذا لا يمنع من الكلام بصراحة .

يوسف : في ماذا ؟

منيرة : علمتني الحياة أن أقصر الطرق للأمور الطريق المباشر .

يوسف (بحياء) : ماذا تريدين ؟

منيرة : كما فعلت السيدة خديجة مع الرسول (ﷺ) ، عرضت نفسها للزواج عليه ، وهو قَبِل .

يوسف (متفاجئًا) : ماذا ؟

منيرة (بجرأة) : وكانت تكبره بخمسة عشر عامًا ، وتزوجا .

يوسف : ... هذا تم عبر وسيط ، وكان الوسيط إحدى صديقات السيدة خديجة .

منيرة : لا توجد صديقة لي ، فلا يوجد وسيط ، والطريق المباشر أفضل ، لأعرف رأيك بصراحة .

يوسف : في ماذا ؟

منيرة (بخجل) :لم أعهد فيك الغباء ، ويكفيني ما قلت؛ فأنا في النهاية امرأة ، عندي حياء .

يوسف : إنني لم أعمل بوظيفة حتى الآن .

منيرة : كان مُحَمَّد يتاجر في أموال السيدة خديجة .

يوسف : وأهلك ؟

منيرة : أنا من عائلة مستنيرة ، ويعرفون معاناتي في زواجي السابق .

يوسف : الأمر غريب على أهلي .

منيرة : كما فهمت منك ، فإن أهلك متعلمون ، المهم أنت .

يوسف : أنتِ إنسانة يتمناك أي شاب ، ولكن المشكلة أنني غير مهيأ نفسيًا .

منيرة : فكّر في الموضوع ، واستشر أهلك .

(يظلم المسرح ثم يضاء)

(مجموعة الشباب الملتحي مع يوسف جانب سور الكلية)

شاب ١ : يوسف ، لماذا امتنعت عن الخطابة ؟

يوسف : مشاغل الدراسة .

شاب ٢ : أم مشاغل الحب والغرام ؟

يوسف : أرجوك ، لقد قطعت صلتي بهذه الأخت .

شاب١ : ولكن يقال غير هذا ، يقال إنكما تلتقيان خارج الكلية في الكافتيريات .

يوسف : أنا أفعل ذلك ، أقسم بالله العظيم لم يحدث . من قال ذلك ؟

شاب ٣ : ويقولون : إنكما سافرتما إلى القاهرة معًا ، بحجة الاطلاع في مكتبات القاهرة والحقيقة أنكما كنتما في رحلة غرامية .

شاب ١ : ويقال : إنها تعيش بمفردها ، وإنك تزورها في بيتها لتدرّسها .

يوسف : كذب ، كذب ، شائعات .

شاب ٢ : لو كانت شائعات ، فاقطعها تمامًا ، وابتعد عن هذه السيدة .

يوسف : أنتم إخواني ، ثقوا بي .

شاب ١ : كنا إخوانك ، الآن نحن زملاؤك وكفى .

يوسف : أنا معكم .

شاب٣ : ونحن لسنا معك ، استمتع بجمال وأموال السيدة منيرة .

يوسف : قطعت صلتي بها منذ فترة ، والله العظيم إنها صلة علمية فقط .

شاب ٢ : فليكن ، ولكن لم تبتعد عن الشبهات .

يوسف (بحنق) : أنتم جامدون ، متزمتون .

شاب ١ : وداعًا ، هذا كلام العلمانيين الفاسدين .

(يظلم المسرح ثم يضاء)

(في المكتبة)

منيرة : أهلاً يا يوسف .

يوسف : أرجوكِ ، الشائعات وصلت لدرجة لا أتوقعها .

منيرة : دعهم يقولون ، عندما نتزوج ستخرس الألسنة .

يوسف : أنا كنت مثلاً وقدوة .

منيرة : لم نفعل خطأ ، وها أنا أسألك : لو شئت الزواج فأنا رهن إشارتك ؟

يوسف (متأثرًا) : لقد اتهموني في عرضي .

منيرة : وعرضي أنا أيضًا . أترفض ما عرضته عليك ؟ زواج وعفة وتفاهم واستقرار .

يوسف : أهلي رفضوا لأنني عاطل .

منيرة : لست عاطلاً ، سأقيم مشروعًا تجاريًا ، تقوم أنت بإدارته ، والربح بالنصف بيننا ، وتكمل دراساتك العليا ، ونعيش سعداء .

يوسف : وهل يمكن هذا ؟

منيرة : ألا تحبني ؟

يوسف (مضطربًا) : أنا ... ، معجب بك وأحترمك كثيرًا .

منيرة : هل كلمات الحب حرام عندك .

يوسف : لا يوجد رباط شرعي حتى أقولها لكِ .

منيرة : تعال ، وتقدّم لخطبتي ، وسيكون الرباط الشرعي متوفرًا .

يوسف : وأهلي ؟

منيرة : سيوافقون ، لقد علمت من زميلة لي ، تصاحب أختك أن أهلك مرتاحون لتفكيرك بالزواج مني ، وأبوك سأل عني كثيرًا .

يوسف : كل هذا ! أنت عجيبة .

منيرة : أنا أكثر منك خبرة في الحياة بعض الشيء ، ولا تنس أنني أكبر منك بخمس سنوات فقط .

يوسف : ماذا ؟ عشر سنوات ! هل تكذبين من أولها ؟

منيرة (تضحك بخجل) : إنني امرأة رغم أي شيء .

(يظلم المسرح ثم يضاء)

(في اجتماع الضباط في مكتبهم بأمن الدولة)

الرائد : هل ترون التجارب التي أجريناها ناجحة ؟

ضابط ٢ : مع يوسف ، حتى الآن ، ناجحة .

ضابط ٣ : ولكن مع اثنين آخرين لم تنجح .

الرائد : ولكنها أحدثت ما نريده ، تشويهًا لسمعة هؤلاء القادة ، وانفضاض الأتباع من حولهم ، فقد علموا أنهم محبون للنساء .

ضابط ٤ : فعلاً ، النساء سلاح فتاك .

ضابط٢ : مع يوسف ، نجحت لأنه يعاني من جفاف عاطفي بسبب أسرته .

ضابط ٣ : ولم تنجح مع الاثنين الآخرين لأنهم اعتذرا وعادا عن الخطأ .

الرائد : من واقع قراءاتي للتقارير ، فإن التجربة ناجحة تمامًا ، لأن الاثنين الآخرين عادا ولكن بروح وسلوك مختلفين ، وهذا إنجاز في حد ذاته .

(يظلم المسرح)

يرتفع صوت فوزي أبو طالب وهو يقول : Stop

ونسمع تصفيق الحضور ، وهمهمات الممثلين والممثلات .

(موسيقى جنائزية ، ثم تنقلب إلى موسيقى مرحة)

المشهد الثالث

(من الممكن أداء هذا المشهد بالتبادل بين شاشة العرض السينمائي ومنصة المسرح إمعانًا في عرض زمنين مختلفين)

(قديمًا ، ديكور شقة فوزي ودلال عند زواجهما في أواخر الستينيات ، فوزي في شبابه ، يقف وسط الصالة ، يمسك مجلة فنية يقرأ فيها ، طرقات على الباب ، يفتح فيجد أمه، سيدة تقترب من الخمسين ، ترتدي الحجاب التركي التقليدي ، وملابس محتشمة غالية الثمن)

فوزي : أمي ، أمي ، أهلاً يا أمي ، ما هذا النور ؟

الأم : رغم كل شيء ، جئتك لأنك وحيدي ، ولا أستطيع فراقك يا بني .

فوزي : وأنا يا أمي . اجلسي ، إننا في غاية السعادة اليوم .

الأم : كيف حالك يا فوزي ؟ هل أنت سعيد في زواجك ؟

فوزي : بخير ، وأنا في غاية السعادة مع دلال .

الأم : رغم اعتراضي على هذا الزواج ، ولكن (تخرج علبة فخمة) خذ هديتك يا حبيبي وسامحني أنني قاطعتك الفترة الماضية .

فوزي (يأخذ الهدية ، ويفتحها ، ثم ينظر لها متعجبًا) : ما هذا ؟ ساعتان ذهبيتان !

الأم (بابتسامة) : لك ولزوجتك .

فوزي : أشكرك يا أمي ، إنني في قمة سعادتي اليوم ، لأنك باركتِ زواجي.

الأم : قلبي لم يحتمل فراقك . (تدور بعينيها في المكان) أين زوجتك ؟

فوزي : لديها محاضرات في المعهد ، معهد الفنون المسرحية .

الأم : أنفذت خطتك ، وأدخلتها المعهد لتكون ممثلة ؟

فوزي : كما وافقتِ على دخولي المعهد ، وافقي – أرجوك – لها .

الأم : أنت رجل ، وهي امرأة .

فوزي : اتركينا نبني مستقبلنا الفني .

الأم : أنت تعلم أنني لست متأخرة ولا متجمدة ، بدليل أنني شجعتك على دخول المعهد، ولكن الزوجة أمرها مختلف ، كيف ترعى بيتها ؟

فوزي : نحن نتعاون .

الأم : وكيف ترعى أبناءها ؟

فوزي : أحضرنا خادمة للولد .

الأم : ما أخبار شغلك في المسرح ؟

فوزي : أنا صاعد ، والحظ يحالفني ، وجاءتني عروض كثيرة .

الأم : قرأت في مجلة عن المسرح أنك الآن في الاتحاد الاشتراكي ، وتعمل في الفرق المسرحية لمنظمة الشباب .

فوزي : هذا حقيقي يا أمي .

الأم : وتعلم أنهم صادروا أرض عائلتنا ، وما بقي قليل .

فوزي : هذا حق الشعب والفقراء .

الأم (متعجبة) : لقد صرنا نحن فقراء بالنسبة إلى الضباط الذين يحكمون البلد .

فوزي : إنني أحب وطني ، وأحبك .

الأم : أين ابنك ؟ كنت أريد رؤيته .

فوزي : اليوم عند حماتي ، أم دلال ، سأذهب وأحضره لكِ .

الأم : أراه في المرة القادمة ، فإن خالك ينتظرني في السيارة .

فوزي : ولماذا لم يصعد ؟

الأم (مطرقة) : لا يزال معارضًا ، ولكنه أصر على أن يأتي معي .

فوزي : أنزل وأسلم عليه .

الأم (تقف) : هيا بنا ، فالدم لا يكون ماء أبدًا .

(يتحرك فوزي ، مع أمه)

الأم : قبل أن أتركك ، لا تبتعد عني وعن بلدك .

فوزي : لا يمكن .

الأم : لك عامان لم تخطُ عتبة بلدنا .

فوزي : سآتي ، سآتي في أقرب وقت .

(يظلم المسرح ثم يضاء)

(حديثًا ، ديكور شقة فوزي وأمه في المحافظة ، الصالة فسيحة ، بها أنتريه قديم ، يمتاز بضخامته وزخارفه ، الأم في الثمانينيات من عمرها ، ترتكز على عكازها ، ترتدي روبًا بيتيًا ، وتغطي رأسها بطرحة بيضاء ، فتبرز تجاعيدها الكثيرة ، تشاهد التلفاز أمامها عبر نظارة سميكة ، فيما يأتي فوزي حاملاً صينية عليها فنجانان ، وهو يرتدي ملابس البيت ، ونلاحظ شيب)

الأم (متطلعة لابنها) : فوزي ، ما هذا ؟ تحمل الصينية لي ! أين أم سعد؟

فوزي : أرسلتها لتشتري طلبات البقالة .

الأم : أنت ابن " مُحَمَّد أبو طالب " تحمل صينية القهوة !

فوزي : بسيطة يا أمي ، أنا ابنك ، وأفخر أن أخدمك .

الأم (بعصبية) : قلت لك ألف مرة ، نحن أسياد ، لدينا الخدم يخدموننا . ألا تذكر قصر جدك أبو طالب ؟ كان على شاطئ البحر ، في وسط البلد ، بناه سنة ١٩٥٠ ، عشت فيه مع أبيك مُحَمَّد أجمل سنوات حياتنا . كان لدينا خمسة عبيد سود ، جدك أحضرهم من السودان ، كان رحالة كبير ، وكان لدينا زمام ستة آلاف فدان ، يتحكم في ست قرى ، الله يسامح عبد الناصر ، (بحزن) أنهى حالنا بشقة ..

فوزي (يستمع بحب ، ثم يتكلم بأدب شديد) : الحمد لله يا أمي ، إنها شقة في وسط المحافظة ، شقة كبيرة ، في عمارة لجدي أيضًا .

الأم : فوزي ، أنت ولد مؤدب ، أريدك أن تستمر في القضية حتى تسترد قصر جدك .

فوزي (بابتهاج) : الحكم لصالحنا مئة في المئة ، فقد أعادت الدولة أملاك كل العائلات التي صادرتها ، وهذا من حقنا ، كما أكد لي المحامي .

الأم : لو عاد هذا القصر ، سأقوم بعمل حفلة كبيرة ، أدعو فيها كل العائلة المتفرقة ، غذاء فخم ، وأجلس أنا على رأس المائدة ، ووراءي الخدم والحشم .

فوزي : إن شاء الله يا أمي .

الأم : هذه أغلى أمنية لي قبل أن أموت .

فوزي : ربنا يطيل عمرك يا أمي .

الأم : فوزي أريد أن أزوجك بنتًا جميلة ، وتنجب أولادًا ، ليرثوا ثروة العائلة.

فوزي : أنا لا أفكر في هذا الموضوع .

الأم : أنت ولد مجنون يا فوزي ، كيف تعيش بدون زواج حتى الآن ؟

فوزي : أنا لا أريد زوجة تغضبك يا أمي ،وأنتِ لا تعرفين كم أحبك .

الأم : وأنا أحبك يا فوزي .

(تشير للفنجان)

الأم : ناولني الفنجان . (يناولها ، فترتشف منه بروية ، وتصلب نظرها على التلفاز)

الأم : كل الأغاني تافهة هذه الأيام يا فوزي ، لا أسمع شيئًا من التصفيق والنطّ والصراخ ، هذه أغنية أو خناقة ؟

فوزي (مصدقًا) : كلامك صحيح يا أمي ، وأنا كذلك لا أفهم شيئًا .

الأم (تنهي احتساء القهوة ، وتقوم من مجلسها) : فوزي ، هل ستخرج اليوم ؟

فوزي : نعم ، عندي اجتماع في قصر الثقافة .

الأم : انتبه للموظفات عندك ، فهن يخططن للزواج منك .

فوزي : أنا منتبه يا أمي .

الأم : خذني إلى غرفتي . (يمسك بيدها ، فيما تتكئ هي على عكازها)

(يظلم المسرح ثم يضاء)

(قديمًا ، ديكور شقة فوزي ودلال عند زواجهما في أواخر الستينيات ، يفتح فوزي الباب ، فتدخل أمه ، بزي فخم آخر)

فوزي (بفرح) : أمي ، أهلاً ، مرحبًا .

الأم (تجلس وهي تتأمل الشقة) : كيف تعيش في هذه العلبة يا ولد .

فوزي : تكفيني أنا ودلال . حمدًا لله على سلامتك .

الأم : لماذا لا تأتي البلد ؟ فقط تتصل بي في التليفون !

فوزي : مشاغلي كثيرة جدًا .

الأم : أعرف يا ابني ، فجئت أراك .

فوزي : تتغذين اليوم عندي .

الأم : أبدًا ، خالك سيأتيني بعد ساعة من الآن .

فوزي : بالرغم من أنني صالحته ، ولكنه مصمم على عدم زيارتي .

الأم : خالك طيب ، ويحتاج إلى وقت ، أين زوجنك ؟

فوزي (مطرقًا) : في المعهد .

الأم : وأين الولد ، ابنك .

فوزي : نائم في الغرفة .

الأم : لوحده .

فوزي : معه الخادمة في الغرفة .

الأم (بضيق) : هل هذه أم ، تترك ابنها مع الخدم وتذهب للفن والمسرح؟

فوزي (مهدئًا لها) : إنها قادمة الآن ، وستفرح كثيرًا برؤيتك .

الأم : لن أنتظرها . هل ترضع ابنها يا ولد ؟

فوزي (ضاحكًا) : الجيل الجديد من الأمهات لا يرضعن أبناءهن .

الأم : ابنك يعيش على ماذا يا فوزي ؟

فوزي : الحليب الصناعي المستورد.

الأم (واقفة بغضب) : أنت ولد دلوع ، ابنك ، من صلبك ، سليل عائلة أبو طالب يعيش على حليب صناعي مستورد .

فوزي : لماذا قمتِ ؟

الأم : الولد الذي لا يرضع من أمه ، يكون ضعيفًا . الأم مثل الأرض ، لابد أن تأكل من خيرها حتى تعرف قيمتها .

فوزي : سأعالج المسألة إن شاء الله .

الأم : سأمشي الآن .

فوزي : ألن تشاهدي الولد ؟

الأم : دعه نائمًا ، أريده راضعًا لبن أمه . أو أحضره للبلد عندي ، وسأحضر له مرضعة بدلاً من أمه . وهذا أفضل ، حتى يشم هواء ويشرب ماء البلد التي عشت فيها يا فوزي .

فوزي : أعدك إن شاء الله ، في أقرب وقت .

الأم : في انتظارك يا يوسف .

فوزي (يسير معها إلى باب الشقة) : سآتي إن شاء الله .

الأم : مع السلامة حبيبي .

فوزي : سأوصلك يا أمي .

(يظلم المسرح ثم يضاء)

(حديثًا ، ديكور الشقة العتيقة لفوزي وأمه في المحافظة ، الأم تقف بعصبية وسط الصالة ، ويقف فوزي أمامها مطرقًا)

الأم : فوزي ، قلبي غاضب عليك ، وأنا حية وأنا ميتة .

فوزي (بخوف) : لماذا يا أمي ؟

الأم : ولد ، أنت تزوجت من راقصة ؟

فوزي : ....

الأم : علمت أنك تزوجت من راقصة متزوجة كثيرًا ، اسمها أم زكي ، تتزوج واحدة راقصة ، وعندها ولد ، واسمها أم زكي .

فوزي : ما حدث يا أمي أنني ...

الأم : فوزي ، أنت غبي ، لا تعرف كيف تختار عروسة لك .

فوزي : أنا مستريح معها يا أمي .

الأم : معفن ، تحب الرمرمة ، مرة تتزوج ممثلة درجة ثالثة ، وشفناها في عارية في الأفلام ومرة تتزوج راقصة . ممن أخذت هذا الطبع الوسخ يا فوزي ، وأنت من أعرق العائلات.

فوزي : ....

الأم : كلمة واحدة ، إما أن تطلقها وإما أن تعيش بعيدًا عني ، وأنا غاضبة عليك .

فوزي : أعطني فرصة يا أمي ، لم يمض شهر على زواجنا .

الأم : تطلقها ، اليوم ، ولن أرضى عنك حتى أرى ورقة طلاقها ، اخرج .

فوزي : أنا لست صغيرًا يا أمي ، ماذا سيقول الناس عني ؟

الأم : أي ناس ؟ أبناء العائلات أم أبناء الحواري ؟ أنت مجنون يا ولد . اخرج الآن ، رُحْ نم عندها ، وافتخر أنك متزوج من واحدة كانت ترقص في الأفراح عريانة .

فوزي (يذهب) : أنا آسف يا أمي ، سأنهي كل شيء الآن .

(يظلم المسرح ثم يضاء)

(قديمًا ، ديكور شقة فوزي ودلال عند زواجهما في أواخر الستينيات ، الأم وسط الصالة ، وفوزي يحمل الطفل ولا يكف عن السعال)

الأم : هل هذا ابنك يا فوزي ؟

فوزي : نعم يا أمي ، انظري إنه ...

الأم : لا يشبهك ، يشبه أمه التي لم أرها حتى الآن .

فوزي : كل من شاهدوا أكدوا لي أنه نسخة مني .

الأم : لماذا يكحّ كثيرًا ؟

فوزي : مريض في صدره .

الأم (تتفرس في الولد) : الولد ضعيف يا فوزي ، جسمه ضعيف بسبب الحليب الصناعي ، ولذا ، معرض للإصابة بالأمراض .

فوزي : حالته تتحسن .

الأم : لن تتحسن مادام ضعيفًا ، الولد الذي لا يشرب حليب أمه ، تفترسه الأمراض .

فوزي : طلبت من أمه أن ترضعه .

الأم : أنت ضعيف أمامها يا فوزي ، هي تسيطر عليك .

فوزي : أبدًا ، نحن متحابان ، متفاهمان .

الأم (هازئة) : خدعتك يا ولد . اهتم بابنك ، وأحضره إلى البلد ، وأنا أربيه أحسن تربية ، ليكون شبهك بالفعل .

فوزي : عندما يشفى ، سأحضره ...

الأم : لم تأت به كما وعدتني ، أنت كذاب يا ولد .

فوزي : إن شاء الله ...

الأم : في انتظارك ...

(سعال الطفل يشتد)

الأم (تحمل الطفل) : صدر الولد مثل صوت الراديو الخربان ، اذهب به الآن للطبيب ، الولد به مرض صدري ، ربو تقريبًا .

فوزي : سأذهب به ليلاً .

الأم (بحنان) : اذهب الآن ، الولد ضعيف مسكين ، ذنبه الوحيد أنه ابن لأم لا تفكر إلا في الشهرة ، وأب مشغول بالسياسة والمسرح .

(يظلم المسرح ثم يضاء)

(حديثًا ، ديكور الشقة العتيقة ، فوزي وأمه جالسان)

فوزي : هل تتخيلين يا أمي أن المسرحية التي أخرجها الآن بها ...

الأم (مقاطعة) : بها بنات عينك زائغة عليهن ؟

فوزي (يبتسم باستكانة) : انتهى العمر يا أمي ، كيف أفكر في الزواج وأنا على مشارف الستين ؟ على مشارف سن التقاعد ؟

الأم : ماذا تقول يا ولد ؟ أنت من عائلة طويلة العمر ، جدك عمّر مئة وعشرين سنة ، أنسيت يا ولد ؟

فوزي (مستكملاً) : ستستغربين ؟ دلال صادق تعمل معي في المسرحية ، وهي بطلة المسرحية الجديدة .

الأم (واجمة) : ألم تختف هذه المرأة ؟

فوزي : عادت لتعيد الماضي أمام عيني .

الأم : عجيبة هذه المسرحية ، تعمل فيها من تزوجت : دلال ، وأم زكي !

فوزي : الأعجب أن الماضي كله يضغط عليّ ، لا يريد أن يتركني ، نسيته ، ولم ينسني ، ابتعدت عنه طاردني ، وجاء إليّ .

الأم : قلت لك تزوج ، وأنت رفضت .

فوزي : يكفيني وفاة ابن واحد لي ، هل تريدينني أن أتزوج ويموت كل أبنائي .

الأم : ماذا تقول يا ولد ؟

فوزي : إننا عائلة تنقرض ، لم يبق إلا أنا وأنتِ ، مات أعمامي وهم صغار ، ومات إخوتك شبابًا ، حتى خالي الذي بقي لم ينجب ، ومات وتزوجت زوجته بعده ، وأنجبتْ أورطة أولاد .

الأم : عشت أنتَ ؟ جدك عاش مئة وعشرين سنة .

فوزي : عاشها ليشهد أبناءه يتساقطون أمام عينيه ، رغم أنه تزوج كثيرًا ، ولم يعش أحد، حتى أبي مات وتركني صغيرًا ، عشت وحيدًا ، وها أنا سأموت وحيدًا .

الأم (تبكي) : فوزي ، لا تقل هذا ، حفظك الله يا بني .

فوزي : إنه يطل عليّ في كل وقت ، في الحلم ، في الشارع ، هربت منه للخمر والحشيش ولكنه متشبث بي .

الأم : من هذا ؟

فوزي : ابني ... (يبكي)

(نسمع سعال الطفل المتلاحق حادًا ، ونرى وجهه – في شاشة العرض السينمائي – مبتسمًا يضحك ، ثم نرى لسانه متدليًا، مفتوح العينين ، دون صوت)

(ستار)